دراسات نقدية
في المعاجم العربية

للدكتور: شعبان عبد العظيم عبد الرحمن
الأستاذ المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة »

أستعينك ربي وأستهديك وأستزيدك من العلم والمعرفة ، فلا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علمنا وانفعنا وانفع بنا إنك سميع مجيب ، وصلاة وسلاما وبركة على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ، إلى يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين .

وبعد :

فهذه دراسة متواضعة للمعجم العربي سوف أتناول فيها ـ بعون من الله وفضل منه ـ الأطوار التي مر بها ، عارضا بالشرح والتحليل والتقويم للمعاجم التي تمثل كل طور من هذه الأطوار ، والركائز العلمية التي ارتكزت عليها ، فكانت سببا في ظهور نهضة معجمية شاملة حفظت لنا هذه الثروة اللفظية التي نعتز بها ونحرص على دراستها ، ومن خلالها نتعرف على الجهد المضني الذي استعذبه في جمعها وتدوينها علماؤنا الأقدمون فقد كانت لهم اليد الطولى في هذا الميدان ، وإليهم يرجع فضل السبق ، ونحن على مثالهم نحتذي ، وعلى ماأصلوا نبتني ، رحمهم الله وأثاب كفاحهم وجهادهم جزاء وفاقا لما قدموه للغتهم ودينهم وأمتهم .

ولقد قصدت من هذه الدراسة استيضاح الصواب واسترباح الثواب ، فما كان فيها من حسنة فمن الله ، فمنه وحده أستمد العون والتوفيق .

وما كان فيها من سيئة فمن نفسي .

والكمال لله وحده ، وهو سبحانه الهادي إلى الطريق المستقيم ..

د . شعبان عبدالعظيم

مفهوم المعجم

يقول ابن جنى في سر الصناعة : « اعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للابهام والاخفاء وضد البيان والافصاح » .

ويقول الجوهري في صحاحه (١) : « الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب » والاعجام غير الاعراب ، في الصحاح واللسان قول رؤبة (١)

الشعر صعـب وطـويل سـلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمـه
زلـت بـه الـى الحضـيض قدمـه
والشعـر لا يسـطيعه من يظلمـه
يريـد أن يعـربه فيعجمـه

ومعنى الاعجام هنا أنه يحاول تبيانه وتوضيحه ، ولكنه يخفق في ذلك ، أو أنه يأتي به ملحونا شأنه في ذلك شأن المعجم ،أو أنه يريد أن يبين عنه فلا يقدر على ذلك فيأتي به غير فصيح ، كما ذهب إلى ذلك ابن فارس (٢) وأعجم فلان كلامه إذا أزال عنه ما يكتنفه من غموض وخفاء وإبهام ، والهمزة التي فيه للسلب . ونظيره قول الله تبارك وتعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » (٣) فالمراد ـ والعلم لله وحده ـ أكاد أزيل عنها خفاءها أي أظهرها .(٤)

---

(١) الصحاح واللسان باب الميم فصل العين « مادة : عجم »

(٢) المقاييس مادة : عجم

(٣) الأية رقم ١٥ من سورة طه

(٤) اللسان باب اليم فصل العين « مادة عجم »

وعلى هذا فالمعجم عبارة عن مؤلف يجمع بين دفتيه ثروة لغوية ضخمة تمثلها مفردات اللغة ، وبصحبتها توضيح وشرح لمعانيها ، واشتقاقاتها ، مرتبة ترتيبا مبوبا أو مجنسا مع إيراد الشواهد المدعمة لهذا الشرح .« واذا كان الأوائل قالوا كما في الصحاح : استعجم علينا الكلام أى استبهم ، وأعجم كلامه اذا ذهب به إلى العجمة فمن المقبول أن يقول أحدنا اليوم فلان يستعجم في شعره أو نثره اذا كان يحوج قارئه إلى الاستعانة بمعجم .والحق أن معجمنا العربي ينطق بعبقرية العرب بدوا وحضرا ، فكان معجما ليس لأمة من الأمم مثله سعة أفاق وغزارة مادة وتنوع أبواب ، أما معجمات سائر اللغى فهي قاصرة عنه متأخرة عليه محدثة بالنسبة إليه وهذا ما لاخفاء به على ذى نهية » (١)

وقد أطلق لفظ المعجم بادىء ذى بدء على معاجم الصحابة لأبي يعلي وجاراه في ذلك أبو القاسم البغوى فجعل لفظ المعجم علما على مؤلفين له في أسماء الصحابة أحدهما يسمي « المعجم الكبير » وثانيهما يسمي « المعجم الصغير» ثم اصطلح الدارسون للتراث اللغوى على تخصيص هذا المصطلح بمتن اللغة واطلاقه علما عليه ، وهو المتبادر إلى الذهن الآن عند سماعه .ولكن لايعرف على وجه التحديد متى أطلق هذا اللفظ على المعجمات اللغوية ولقد سميت المعاجم باسم القواميس .وأول من أطلق هذه التسمية الفيروزابادى في معجمه الذى سماه «القاموس المحيط» .

واشتهر هذا الاستعمال لتداول معجم القاموس حتى أصبح يرادف المعجم اللغوى .

الفكر المعجمي

الفكر المعجمي قديم قدم الانسانية . ذلك أن التاريخ يحدثنا عن مدى عناية الآشوريين بقواعد لغتهم وألفاظها ، وأنهم اهتدوا إلى جمع مفرداتها ومثل ذلك فعله الصينيون خدمة للغتهم وتقريب متنها لتنتفع بها الأجيال المتعاقبة ، فألف كوبي وانج معجمه المسمي « بوبيان » ثم معجم « شوران » لمؤلفه « هوشن » وعنهما تصدر معاجم الصين واليابان ثم نأتي إلى الاغريق ، فنرى فكرا معجميا ماثلا في أقدم معاجمهم وهو معجم « يوليوس بولكس » المبوب كمخصص ابن سيده (٢)

ثم ينتهي بنا المطاف إلى العرب بيت القصيد فنجد أن هذا اللون من التأليف بمفهومه الآن

(١) د. عدنان الخطيب : المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٨

(٢) د. إبراهيم نجا : المعاجم العربية ص ١٠

يعرفه العرب في جاهليتهم وأول عهدهم بالاسلام لأنهم قوم أميون لاعهد لهم بالتدوين ، كما أن العربية لغتهم التي بها يتحدثون و يكتبون فلا حاجة بهم إلى ذلك ،لكن القول بهذا لا يمنع من وجود فكر معجمي لديهم وإن لم يبرز إلى حيز الوجود على نحو ما نعهده الآن .

ولنا من الأدلة ما يؤيد صدق هذه النظرة ، فقد ورد الينا أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدث إلى وفد بني نهد بعبارات سمعها الامام علي ولم يعرف معناها واستوضحها من الرسول عليه الصلاة والسلام فأفهمه إياها ، ويقول المصطفى عليه صلاة الله وسلامه :إن أحبكم إليَ وأقربكم مجلسا مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وأبغضكم اليّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة هم الثرثارون المتشدقون المتفيهقون.. قالوا يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين المتشدقين ،فمن المتفيهقون؟ قال : « المتكبرون » (١)

ويقول ابن عباس رضي الله عنه : « الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القران الذى أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه » ويقول أيضا : « إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي » .

وعندما دفعتهم الحاجة إلى تدوين الألفاظ بدأوا بتأليف الرسائل اللغوية التي تنتظم موضوعات معينة من اللغة مثل النبات والحشرات والحيوان ، ثم ظهرت كتب اللغة الجامعة مرتبة المفردات حسب أبوابها ومعانيها ويمثلها « فقه اللغة» للثعالبي و « مبادىء اللغة» للاسكافي ثم « المخصص » لابن سيده ثم ظهرت المعاجم الأبجدية وأول من هداه الله إلى تأليفها هو الخليل بن أحمد .

والمعجم بهذا المعني لم يعرفه العرب قبل عصر الخليل إلا أن استيضاحهم لما خفي عليهم يدل على وجود فكر معجمي لديهم كما قدمنا .

فهم في ذلك يلجأون إلى معجم شخصي كما نلجأ نحن الآن إلى المعاجم المدونة ، فما تفسير القرآن الكريم وشرح غريبه وغريب السنة النبوية الشريفة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء الراشدين من بعده إلا عمل معجمي وان لم يسر على نهج المعاجم المعروفة الآن .

دوافع التأليف المعجمي

لاشك أن هناك دوافع إسلامية جعلت علماء اللغة يستعذبون المشاق في سبيل جمعها وحفظها . فجزاهم الله عن لغتهم خير الجزاء .

---

(١) اللسان ج ١٠ مادة « فهق » .

وتلكم الدوافع هي :-

١ ـ صيانة كتاب الله الكريم من الأخطاء المتعلقة بالنطق أو الفهم .

٢ ـ حفظ اللغة من الألفاظ الدخيلة على متنها والتي لاتخضع لموازين ومقاييس اللغة .

٣ ـ الخوف على اللغة من الانقراض بانقراض الحافظين لها.

٤ ـ كون اللغة جزءا من العقيدة الاسلامية ، فهي لغة القران الكريم ولغة مبلغه إلى الناس اجمعين عن طريق سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالي :

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (١).

٥ ـ أنهم كانوا يرون في تدوين لغتهم تكليفا شرعيا لهم ذلك أنها السبيل إلى العلم بالدين عبادة وتشريعا وكان رائدهم فيما يعتقدون الأمر الصادر من الرسول ـ عليه صلاة الله وسلامه ـ لصحابته بنصح من لحن في مجلسه وارجاعه إلى طريق الحق والصواب إذ قال : أرشدوا أخاكم فقد ضل .

وحتى تبرأ ذمتهم انطلقوا في هذا المجال غير مبالين بما يلاقون من مصاعب ومتاعب حسبة لله سبحانه وتعالى

٦ ـ غيرتهم على اللغة وحرصهم عليها قوية البناء سليمة الاعراب ، دفعهم إلى انتجاع البادية ومشافهة أعرابها وأخذ اللغة من منابعها الصافية ، فدونت اللغة وألفت المعاجم ، وقعدت القواعد وصححت المفردات التي دخلها اللحن والتحريف .

٧ ـ التعرف من خلال الكلمات المدونة في بطون المعاجم على عادات المسلمين وتقاليدهم وأنماط سلوكهم الاجتماعي و ما يمتازون به من خلق إسلامي أصيل ، وما لهم من فكر أدبي ولغوى .

٨ ـ كان البشر في ماضيهم السحيق يعتمدون اعتمادا كليا في تعاملهم و تفاهمهم على ما يلفظون من كلمات دالة على مرادهم شائعة بينهم ذائعة على ألسنتهم وليسوا في حاجة إلى استيضاحها ، ثم أخذت اللغة في التوسع تبعا لاتساع افاق الفكر الانساني لتفي بحاجاته ، فهي المراة الصادقة لما يدور في نفسه من خواطر وافكار وبالتالي ارتبطت حياة الانسان بالألفاظ وتمسك بها ، ثم انتهز فرصة ظهور الكتابة فسجل منها ما أمكنه تسجيله فازدادت الثروة اللغوية ، وخفي كثير منها على الافهام ، فشرع العلماء في شرح ما غمض منها محاولة منهم في تقريب اللغة من الأذهان حتى يتسنى الانتفاع بها .

٩ ـ قد يخطر للانسان خاطر يريد التعبير عنه فلا تسعفه حصيلته اللغوية فيلجأ إلى التفتيش في بطون المعاجم عساه يجد ما يعبر عن فكره ، ومن هنا ظهرت المعاجم المبوبة لتفي بهذا الغرض .

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٦٧

١٠ - وحتى يزداد الاتصال الحضارى بين الأمم قوة فتقوى على النفع والانتفاع ترجمت الألفاظ الأجنبية بما يقابلها من ألفاظ اللغة العربية ، فأصبحت في متناول من يريد البحث عنها ، وبمثل ذلك شرحت الألفاظ النادرة الاستعمال .

ولقد تضافرت هذه الحوافز على اخراج معجمات تعتبر من أعظم وأشرف الأعمال اللغوية ، فهي مرآة صادقة تنعكس على صفحتها مظاهر النشاط الاجتماعي و النفسي والفكرى و الخلقي ، ولانكون مغالين اذا قلنا انها سجل حافل بكل مظاهر الحياة الاسلامية .

تدوين مفردات اللغـة

منذ العصر الأول للتدوين واهتمام العلماء بالدراسات اللغوية لا يتوقف عند حد ، ومرد ذلك إلى النهضة الثقافية التي أذاعها الاسلام وفتح مجالها ووسع آفاقها حين اتسعت فتوحاته ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكانت عناية العلماء بالدرجة الأولى موجهة إلى كتاب الله الكريم فهو الذى تكفل بحفظ اللغة نقية صافية في مفرداتها وتراكيبها وأساليبها ، وهو مليء بكثير من المفردات التي قد تخفي على كثير من الناس بل خفيت على الصحابة أنفسهم وهم من هم في الفصاحة والبلاغة ، فقد سأل عمر رضي الله عنه وهو على المنبر عن معني «التخوف» في قوله سبحانه وتعالي « أو يأخذهم على تخوف » (١)

فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص . قال عمر : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال :نعم . قال شاعرنا زهير :

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

... وسئل عمر رضي الله عنه :ما الأب.؟ في قوله تعالي « وفاكهة وأبا» (٢) فلم يعرف معناه . ولم يعرف عبدالله بن عباس معني « فاطر» في قوله عز وجل « الحمد لله فاطر السموات والارض » (٣)

وأمثال هذ الحوادث كثيرة ، و كلها تدل على أن العرب لم يكونوا يعرفـون معنـى كل ما يسمعون من ألفاظ الفصحي بل كانت تغيب عنهم معان كثيرة و يجهلون معاني كثيرة (٤) ومن

---

(١) سورة النحل الآية : ٤٧ .
(٢) سورة عبس الآية : ٣١ .
(٣) الآية رقم ١ من سورة فاطر .
(٤) مقدمة الصحاح .

هنا كانت عناية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم و من جاء بعدهم بالقرآن الكريم كبيرة يشرحون غريبه ويفسرون مفرداته .

و نشطت الهمم في هذا المجال فتركوا لنا ثروة لغوية ضخمة تمثل تدوين مفردات اللغة في مراحله الأولى ، وكان من السابقين في هذا المضمار ابن عباس رضي الله عنهما واليه ينتسب أول كتاب في غريب القرآن الكريم وكذلك لاقى غريب السنة النبوية الشريفة عناية واهتماما و نسب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام كتاب في غريب الحديث ، ونسب للزمخشري كتاب في غريب الحديث أيضا يحمل اسم « الفائق في غريب الحديث » .

وألف ابن الأثير كتابه « النهاية في غريب الحديث والأثر » ولقد تأخرت العناية بغريب الحديث فترة من الزمان لأن الحديث لا يتعبد بتلاوته ، وقد أجاز بعض العلماء روايته بالمعنى إن لم يمكن روايته بلفظه .

وقد كان اهتمام العلماء بغريب القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف حافزا قويا للاهتمام بجميع اللغة شعرها ونثرها فقد حوى الشعر والنثر بعض المفردات التي لم ترد في كتاب الله الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتمثل هذه الألفاظ ثروة لغوية كبيرة تحتاج إلى جهود أخرى لحفظها وتقريبها للأذهان فاتجهت جهود العلماء بادىء ذى بدء إلى جمع الالفاظ التي تدور حول موضوع واحد لأنه يمكن حصرها ، فجمعوا الألفاظ التي لها صلة بالنبات والحيوان والحشرات مثل كتاب الخيل وكتاب اللبن وكتاب العسل وكتاب الحشرات وكتاب النخيل . وهكذا ، ثم ظهرت بعض المؤلفات التي تجمع هذا الشتات منظما منسقا مثل : « الغريب المصنف » لأبي عبيدة و « الألفاظ الكتابية » للهمذاني و « فقه اللغة » للثعالبي و « المخصص » لابن سيده وأطلق على هذا اللون من الجمع اسم « المعاجم المبوبة » أو « معاجم المعاني » أو « معاجم الموضوعات » ومن عيوبها « أن كثيرا من الألفاظ تأتي لمعان كثيرة و الباحث لا يعرف في أى الأبواب ذكر مطلبه ، وكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان انسانا أم حيوانا أم نباتا ، بل هناك من الصفات ما يشترك فيه الكائن الحي و الجماد وهذا مما يصعب على الباحث الحصول على مبتغاه » (١)

ولذلك اتجه العلماء وجهة أخرى يجمعون ألفاظ اللغة على اختلاف أنماطها وأشكالها وأجناسها ، ويشرحون غامضها ويضبطون مفرداتها ويبينون أصولها واشتقاقاتها ، وانتهجوا في ترتيبها منهج الترتيب الأبجدى سواء أكان صوتيا كما فعل الخليل في كتابه العين أم كان عاديا كما فعل غير الخليل .

وأول من ارتاد هذا الطريق هو الخليل بن أحمد ثم توالت الجهود متأسية به فألف ابن دريد

(١) مقدمة الصحاح .

الجمهرة والأزهرى التهذيب والجوهرى الصحاح وهكذا . حتى انتهى الأمر بالمعجم الكبير والمعجم الوسيط اللذين أعدهما مجمع اللغة العربية في القاهرة .

وسمي هذا اللون من الجمع باسم «المعجم المجنس » ومن أنواع المعاجم أيضا تلك المؤلفات التي تحوي ترجمة الألفاظ الأجنبية بما يقابلها في اللغة العربية و تمثلها المعاجم العربية الانجليزية أو العكس ، فان لم يوجد مايقابله نبه على ذلك . ولتوضيح مدلول هذا المترجم يوضع في جملة تشرحه وتوضحه .

منهج العلماء في تدوين اللغة

لقد بذله مؤلفو المعاجم جهدا مضنيا في تتبع اللغة من منابعها الأصيلة فاتسقوا أغلب مواد اللغة من القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومما أثر عن العرب الفصحاء شعرا ونثرا وحرصا منهم على سلامة اللغة أفرطوا في التحرى وتشددوا في استظهار الحق والصواب فلم يدونوا إلا ما صح لديهم سماعا عن اعراب البادية الذين شافهوهم وعاشوا بين ظهرانيهم ، ولذلك لم يأخذوا اللغة ممن يشك في فصاحة لسانة لمخالطته لغير العرب .

وحتى تكون اللغة نقية صافية لا مجال للطعن فيها ، توقفوا في تدوين مفردات اللغة عند زمن معين ، فارتضوا الأخذ عن فصحاء الحضر حتى نهاية القرن الثاني الهجرى ونظرا لتمكن فصاء البادية من اللغة استباح العلماء الأخذ عنهم حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . وماعدا ذ لك لم يدونوا منه شيئا ، ثم اطلق على الأزمنة التى توقفوا عندها اسم « عصور الاحتجاج باللغة وينتهى بنا القول الى أن مصادر جمع اللغة هى :

١ - القرآن الكريم ٢ - الحديث النبوى الشريف ٣ - الشعر والنثر العربى المحتج به الموثوق بصحته ٤ - لغة فصحاء العرب بدوا وحضرا بالمقياس الذى وضعه علماء اللغة .
٥ الأخذ من الكتب التى دونها الاقدمون والتى لا يتطرق الشك إليها .

الفرق بين المعجم المبوب والمجنس :

١ - أن المبوب مرتب حسب المعاني والابواب أما المجنس فهو مرتب ترتيبا أبجديا صوتيا أو عاديا .

٢ - أن المعجم المجنس يلجأ إليه عندما يخفى المعنى ويغمض على حين يستعان بالمعجم المبوب في ايجاد الألفاظ التى تعبر عما يدور في الذهن من خواطر وأفكار .

٣ - أن المعجم المبوب يقوم على منهج مبسط في الجمع ذلكم هو الوقوف على الموضع وحفظ المفردات المندرجة تحته على حين أن المجنس يسير على نهج مخالف لذلك تماما فهو يستدعى احاطة ومعرفة بالأبجدية الصوتية او العادية وهنا تكمن الصعوبة فى الجمع والبحث على حد سواء .

المقومات الأساسية للمعاجم اللفظية

حتى تؤدى هذه المعاجم دورها كاملا في خدمة اللغة والناطقين بها و تفي بحاجة الباحثين ينبغي أن تتوافر لها العناصر الآتية :-

١ ـ أن يكون شرح الألفاظ بعبارة هي نص في المراد دقة ووضوحا ،تفيد الباحث فائدة يطمئن إليها لأن مثل « مكان معروف » التي توضع بازاء بعض الألفاظ لا تفيد الباحث شيئا .

٢ ـ الضبط الدقيق للألفاظ ، فربما يكون الباحث على علم بمدلول اللفظ و لكنه يجهل ضبطه ، وعند مراعاة ذلك يجد ضالته .

٣ ـ عدم الالتجاء إلى شرح اللفظ بكلمة غريبة أو غير مألوفة .

٤ ـ أن تدون الألفاظ الواردة في نصوص يحتج بها ، وأما ما ليس له نص يعضده أو ورد في نصوص لايحتج بها فانه يجدر التنبيه إلى وضعه حتي يكون الباحث على بينة من أمره .

٥ ـ التنسيق الداخلي للمادة اللغوية بحيث تدون الأصول أولا ثم ماتفرع منها كل تحت أصله.

٦ - التنسيق الداخلي للمعاني بمعنى أن يذكر المعنى الأصلي أولا ثم ما تفرع عنه مع التنبيه على التطور التاريخي الذى قد حدث لمدلول بعض الألفاظ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية ترقى برقى المجتمعات الانسانية وتنحط بانحطاطها .

٧ - الاشارة إلى الكلمات التى دخلت العربية عن طريق التعريب أو التوليد ، وكيف طوعها العرب لتفي بحاجة لغتهم .

٨ - العناية بالبحث الاشتقاقى ورد المواد اللغوية الى عناصرها الأولية .

ركائز النهضة المعجمية ووسائلها

قامت النهضة المعجمية على ركائز أساسية وهي :-

١ ـ ترتيب المواد اللغوية على الأبجدية الصوتية كما فعل الخليل أو الأبجدية العادية كما ارتضى غيره .

٢ - جمع اللغة بطريقة حاصرة شاملة وذلك باتباع نظام التقلبيات ويقصد به جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة مع اختلاف الترتيب وجعلها في مكان واحد مثل عدّ و «دع » .

٣ - النظرة إلى الكم واعتباره أساسا للجمع وهو ما يعبر عنه بالأبنية .

٤ - أصل الكلمة هو الأساس الذى يندرج تحته كل ما تصرف منها بالاشتقاق .

و تطور المعجم العربي فى حاضره وفي مستقبله ـ إن شاء الله ـ له من الوسائل ما يمكنه من أداء دوره في خدمة اللغة و الناطقين بها ـ وهي ـ فيا أرى ـ تنحصر فيا يلي :ـ

١ ـ وجود مجامع لغوية متعاونة متكاملة فيا بينها حتى يكون عطاؤها للمعجم العربي سخيا به ينهض و يتقدم .

٢ ـ مؤزارة وسائل الاعلام المختلفة له من صحافة وإذاعة مرئية ومسموعة ، فبذلك يتكون لدى الناطقين باللغة ذوق لغوى فيألفون اللفظ العربي الفصيح .

٣ ـ متابعة التطور الذى طرأ على مختلف العلوم والفنون حتى يتسع صدر لغتنا للألفاظ الحضارية و المصطلحات العلمية .

وحتى لاتضيع لغتنا في طوفان الألفاظ الأجنبية التي ترد إليها كل يوم ، فان إثراء المعجم العربي يكون بالغوص في بطون معاجمنا القديمة و تطويع ألفاظها لتعبر عن المعاني الجديدة ، فان لم نجد فلا حرج من استعمال الألفاظ المولدة و المعربة والاشتقاق منها حسب مقاييس اللغة مع الاشارة إلى وضعه دخيلا أو معربا أو مولدا .

٤ ـ التخطيط العلمي الدقيق المنتظم لمقدمة تحدد معالم المنهج الذي سيسلك في بناء المعجم وتأليفه فلا نفاجأ بأنه تخلى عن خطته وتحلل منها ، و لم يف بما عاهد عليه القراء .

فان وفقنا إلى ذلك نكون قد أنهضنا لغتنا وأدينا بعض ما علينا تجاه ديننا وأجيالنا المتعاقبة .

أطوار التأليف المعجمي

مر التأليف المعجمي بأطوار متعددة تغيت له الكمال حتى اشتد عوده واستوى على سوقه وتلكم الأطوار هي :ـ

١ ـ الطور الأول :ـ وهو ما يعرف باسم :

التقليبات الصوتية ، ويقصد بها تدوين مفردات اللغة المؤلفة من حروف واحدة بغض النظر عن ترتيبها وجعلها في مكان واحد ، وتحت أبعد حروفها مخرجا وإلى الخليل بن أحمد يرجع الفضل في ابتكار هذا اللون من الجمع .

فمادة « ضرب » و تقلباتها : ضبر رضب ، برض ، بضر ، ربض ، يبحث عنها في باب « الضاد » لأنه أبعد الحروف مخرجا .

٢ ـ الطور الثاني :ـ وهو ما يعبر عنه بنظام « التقليبات الأبجدية العادية » وقد سار على أساسه ابن دريد في جمهرته .

ويقصد به جمع الكلمات على النسق السابق وحشدها تحت أول حروف المادة في الترتيب الأبجدى العادى فالمادة سالفة الذكر يبحث عنها مع تقلباتها تحت حرف « الباء » لأنه الأسبق ترتيبا

٣ ـ الطور الثالث :ـ وهو ما يعبر عنه بنظام « القافية » ويراد به جمع الكلمات باعتبار أواخرها ، وإلى الجوهرى يرجع الفضل في ابتكار هذا النظام ، فالمادة السابقة يبحث عنها في باب الباء فصل الضاد .

٤ ـ الطور الرابع : وهو ما يعرف بـ « الأبجدية العادية » وعنه يصدر جمع الكلمات باعتبار الحرف الأول والثاني و الثالث في الترتيب الأبجدى العادى .

فالمادة السابقة يبحث عنها في حرف الباء مع الراء و الضاد ويتضح من عرضنا لهذه الأطوار أن سبب اختلاف المعاجم في ترتيب المفردات يرجع إلى :ـ

١ ـ الأبجدية وهي نوعان صوتية وتنسب إلى الخليل بن أحمد ، وعادية وتنسب إلى نصر بن عاصم .

٢ ـ أن بعض المعاجم اعتبرت الحرف الأول من الكلمة بعد تجريدها من الزوائد هو مفتاح البحث عن معنى الكلمة وبعضها اعتبر العمدة في ذلك الحرف الأخير وفيما يلي دراسة للمعاجم التي تمثل كل طور من هذه الأطوار .

معجم العيــن

مؤلفه :ـ هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد ومسقط رأسه إمارة عمان الحالية جنوب الجزيرة العربية على شاطيء الخليج العربي .

وتاريخ ميلاده ووفاته مثار خلاف بين الدارسين والباحثين و المرجح أنه ولد سنة ١٠٠هـ وتوفي سنة ١٧٥هـ ولنشأته بالبصرة وترعرعه فيها غلاما وطلبه للعلم فيها تلميذا و تصدره لمجالسها العلمية أستاذا لقب بالبصري وإن كانت ولادته خارجها ، وقد انحدر من أصل عربي خالص شأنه في ذلك شأن قلة بسيطة من اللغويين .

مكانته العلمية :ـ

لقد كان الخليل بن أحمد يتمتع بعقلية فذة قل أن يجود الزمان بمثلها فقد كان له أثر كبير في حياة العرب الثقافية حين أبدع وابتكر علم العروض على غير مثال سابق وحين جمع مفردات اللغة بطريقة حاصرة شاملة لم يسبقه إليها أحد ، ويوم أن وصل إليه علم النحو حبوا فتعهده بالرعاية والعناية ، حتي بلغ أشده واستوى على سوقه .

ومن هنا يمكن القول وباطمئنان بأنه أول نحوى عني بدراسة النحو دراسة علمية منظمة ، وهو أول من مهد الطريق للعلماء من بعده حتى تكون دراستهم للنحو مبنية على اعتباره مجموعة قواعد وأصول عامة فقد كان الدارسون للنحو العربي من قبله يدرسونه على أنه جزئيات يستقل بعضها عن بعض ، فلما جاء الخليل سلك مسلك الدراسة العلمية المنظمة وارتضي القياس والتقعيد أساسا لكل ما تناوله من موضوعات النحو ، فغدا بحق زعيما ومؤسسا لمدرسة البصرة النحوية .

كذلك ابتكر الضبط بالشكل المعروف لنا الآن ولم يسبقه إلى هذا العمل أحد وهذا غيض من فيض تلك العبقرية .

رحمه الله وطيب ثراه .

الغاية من تأليف العين :ـ

اطلع الخليل على الرسائل اللغوية السابقة عليه فلاحظ أنها لاتسير في جمع اللغة على أساس علمي مقبول وأنها لا تخلو من تكرار ، فلا يمكن عن طريقها أن تجمع الألفاظ جمعا عاما شاملا كما أراد الخليل .

ورأى أيضا أنها لاتفي بحاجة الباحثين وأن التدوين على هذا النحو لايحقق الهدف المنشود الذى من أجله وضعت هذه المؤلفات وهو حفظ اللغة من الضياع ذلك أنها غير مستوعبة وغير حاصرة ففكر في الأمر ثم قدر ، فهدى إلى منهج يمكنه من تحقيق غرضه ، ذلكم هو منهج الأبجدية الصوتية .

منهجــــه

١ ـ ترتيب المفردات على أساس صوتي وهذا ليس بجديد عليه فقد عرف بعبقريته المجددة المبتكرة.
ومقياس تذوق الحروف عنده أنه كان يبدأ بالحرف ساكنا وقبله فتحة (أبْ ـ أتْ ...وهكذا)

على أساسه رتب الحروف حسب مخارجها بادئا بالحروف الحلقية ثم اللسانية ثم الشفوية ثم الهوائية ، وجعل كل حرف كتابا وأى كتاب من كتب المعجم لايحوى مفردات تضمنت حرفا تقدم ذكره فمثلا كتاب « الغين » لانجد فيه ألفاظا حوت حرف العين أو الحاء أو الخاء لتقدم ذكرها في كتابها ، وهذا يعني ان الكتاب الأول أغزر مادة من الكتاب الثاني وهكذا حتى نأتي إلى آخرها فنجده أقلها جميعا .

٢ ـ استقصى ألفاظ اللغة ناظرا إلى أبنيتها التي حددها الصرفيون بأنها لاتخرج عن الثنائي و الثلاثي و الرباعي و الخماسي ، وجعلها أبوابا ووزع على ضوئها كتبه .

٣ـ مراعاة نظام التقليبات وذلك بحشد المفردات المؤلفة من حروف واحدة في موضع واحد و يلاحظ أن الخليل في مقلوب كل من الثنائي و الثلاثي ينبه على المستعمل و المهمل وفي الرباعي والخماسي ينص على المستعمل فقط ويغفل ما عداه لكثرته .

٤ ـ أنه في حصره للمادة اللغوية ومشتقاتها وطريقة علاجها يعني عناية كبيرة بالجانب اللغوى المحض ، وهو في هذا قد تخفف وتحلل كثيرا من تأثره بمنهج المعاجم المبوبة التي تعني بجمع الألفاظ التي تدور حول معنى واحد لكنه لم يتخلص من هذا التأثر تماما فنجده ينزع إليه حين يجمع الألفاظ الخاصة بالأعلام أو بالحيوان والنبات كأن يقول لنا :(التعضوض : ضرب من التمر أسود شديد الحلاوة موطنه هجر وقراها) (١)

---

(١) العين : مادة تعض .

٥ ـ أنه ألزم نفسه بالترتيب الدقيق المحكم و يمثل هذه الدقة المتناهية أنه بصدد الأفعال يأتي بالماضي ثم المضارع ثم المصدر كأن يقول :ضفع الانسان يضفع ضفعا (١) و جدعته أجدعه جدعا (٢)

وإن تعدد المصدر صيغة و معنى نبه على ذلك كأن يقول : (٣) :الضَّعف خلاف القوة ويقال : الضَّعف في العقل والرأس و الضُّعف في الجسد .

وعنايته بالناحية الاشتقاقية أرهفت حسه اللغوى فأدرك كثيرا من الفروق الدقيقة بين الأبنية يصور لنا ذلك قوله (٤) : و (أمر عجيب وعجاب ، قال الخليل بينهما فرق : أما العجيب : فالعجب . أما العجاب : فالذى يجاوز حد العجب مثل الطويل و الطوال) و عليه قول الله عز وجل « إن هذا لشيء عجاب » (٥)

٦ ـ دعم شرح المادة اللغوية بشواهد من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و الشعر وفصيح الكلام ويكاد يكون الاستشهاد بالشعر هو الأساس الذي يدعم به الخليل شرحه لمواد اللغة فهو ديوان العرب وهو الفيصل فيما يخفى علينا من غريب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

و الخليل في هذا يصدر عن المعاجم المبوبة و التي تمثلها الرسائل اللغوية الكثيرة وذلك حين يلتقي معها في شواهده وفي كيفية عرضه لها وكل ماله في شواهده أنه توسع فيها فاستشهد بالفصحاء من المولدين والفرس .

كتاب العين في ميزان النقد

يعتبر كتاب العين حدثا جديدا بالنسبة للغة العربية وشأنه شأن كل تجربة رائدة فانها لاتخلو من مآخذ تؤخذ عليها ولذلك فقد أخذ عليه :ـ

١ ـ التصحيف . ولقد أورد الحسن بن عبدالله العسكرى في كتابه « التصحيف والتحريف » بعض تصحيفات أخذها على الخليل ومنها :« القارح » بالقاف وحاء مهملة :القوس التي بان وترها عن مقبضها... وإنما هو «الفارج » بالجيم والفاء ، يقال : قوس فارج وفرج لانقراض وترها عن كبدها ، وأنشد ابو عمرو : • يغدو بكلبين وقوس فارج

...قرأت على أبي بكر خبر (بعاث) والحرب بين الأوس والخزرج فقال أبوبكر : ذكر الخليل يوم بغاث) بالغين المعجمة وهذا لم يسمع من غيره وإنما هو (بعاث) بالعين المهملة .

---

(١) العين مادة : ضفع .
(٢) العين مادة : جدع .
(٣) العين مادة : ضعف .
(٤) العين مادة : عجب .
(٥) سورة ص آية ٥ .

ومن التصحيفات أيضا في كتاب العين في « باب الراء والباء » قال : يقال : شيء (ربيد) بالباء أى منضود بعضه على بعض وإنما هو (رثيد) بالثاء يقال : رثد المتاع بعضه على بعض. هكذا رواه الأصمعي ولم يذكره بالباء . ا. هـ

وبعض هذا المآخذ التى عدت على الخليل تصحيفا - وماهى بتصحيف - يمكن رد شيء منها الى باب اختلاف اللهجات . وخير شاهد على ذلك كلمة « بغاث » التى عدها الأزهرى (١) والعسكرى تصحيفا .

فقد جاء في اللسان والتاج أن كلا اللفظين وارد وصحيح و كتاب العين نفسه قد سجل الكلمة تحت باب « الغين المعجمة » ثم قال : ويقال أيضا :« بعاث » بالعين المهملة وكذلك لفظة « ربيد» التي عدها عليه أبو الحسن العسكرى تصحيفا وأنها لم ترد بالباء وانما الوارد بالثاء وهو « رثيد » وهذا غير صحيح فقد صرح الفيروزآبادى بأن كلا اللفظين وارد وصحيح وأن معناهما واحد وذلك حين قال : (٢) « والربيد تمر منضد نضح عليه الماء ثم عاد فقال نفس المعنى في « رثد » فقال (٣) « رثد المتاع نضده كارتثده فهو رثيد ومرثود ورثد محركة».

وبناء على هذه الشواهد النواطق التي ذكرتها فإنه يمكن القول وباطمئنان بأن معظم هذه التصحيفات التى نسبت إلى الخليل هو منها براء وتعزى « في نظرى » إلى باب اختلاف اللهجات ، ولعل من قال بالتصحيف في مثل هذا لم تتضح لديه تلك الظاهرة ، فقال بما لم يعلم ثم من ذا الذى سلم من التصحيف كما يقول السيوطي (٤)

٢ ـ وأخذ عليه كذلك بعض الأخطاء الصرفية مثل قوله « التحفة مبدلة من الواو وفلان يتوحف» قال الزبيدى ليست التاء في التحفة مبدلة من الواو لوجودها في التصاريف وقوله : يتوحف منكر عندى .

٣ ـ وكذلك أخذ عليه انفراده ببعض الألفاظ وذلك مثل قوله :«التاسوعاء اليوم التاسع من المحرم . قال الزبيدى...لم أسمع بالتاسوعاء ، وأهل العلم مختلفون في عاشوراء فمنهم من قال : إنه اليوم العاشر من المحرم ومنهم من قال إنه اليوم التاسع ».

٤ ـ وخطىء في قواعد اللغة حين قال : ليس في كلام العرب نون أصلية في صدر الكلمة قال الزبيدى في استدراكه جاءت كثيرا في صدر الكلمة نحو نهشل ونهسر ونعنع .

وفي رأيي أن هذه الأخطاء ترجع في الأصل إلي تعليقات النساخ و القراء لأن الخليل لم يل كتابه بنفسه .

---

(١) التهذيب جـ ٢ مادة : بعث .
(٢) القاموس المحيط : مادة «ربد» .
(٣) المصدر السابق : مادة (رثد» .
(٤). المزهر جـ١ ص ٨٦ .

٥ ـ صعوبة الأخذ منه لصعوبة المنهج الذى اتبعه الخليل في تأليفه ، وكأني بابن منظور يعني الخليل في قوله (١) « كأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه وارتاد لهم مرتعا مريعا ومنعهم منه ، وقد أخر وقدم وقصد أن يعرب فأعجم ، فرق الذهن بين الثلاثي المضاعف والمقلوب ، وبدد الفكرة باللفيف و المعتل و الرباعي والخماسي فضاع المطلوب ».

ولعل هذه الصعوبة التي نلحظها لم تكن صعوبة بالنسبة لعلماء عصره ، لأن عصره شهد نهضة علمية منقطعة النظير ويؤيدني في نظرتي هذه قول ابن دريد : (٢) « وقد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعني من سما إلى نهايته ، ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره ».

ومهما يكن من شيء فمنهجه من حيث ما يهدف إليه سليم في جملته لايتوجه إليه مطعن من المطاعن ويؤيد ذلك ما قاله السيوطي عنه (٣)

« وأما أنه يخطيء في لفظة من حيث اللغة بأن يقال هذه اللفظة كذب ولاتعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك وحينئذ لاقدح في كتاب العين ».

و الخليل يعتبر بحق مؤسسا لمدرسة معجمية عرفت في التاريخ المعجمي باسمه و سار على نهجها كثير من اللغويين أمثال الأزهرى في تهذيبه و القالي في بارعه وابن سيده في محكمه وإليه يرجع الفضل في هذه النهضة المعجمية التي نعيش اليوم آثارها وننتفع بتراثها .

ولاأكون مغاليا إذا قلت إن أساليب المعاجم تصدر في جملتها عنه .

طيب الله ثراه وأجزل له في الثواب .

---

(١) مقدمة لسان العرب ص ٧ .

(٢) مقدمة الجمهرة ص ٣ .

(٣) المزهر ج ١ ص ٨٦ .

التهـذيب

مؤلفه :

هو العالم اللغوى الكبير أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولد سنة ٢٨٢هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ ولقد كان الأزهرى ثقة فيا يصدر عنه ثبتا في اللغة ابتدأ حياته بالدراسة الدينية ، وله مؤلفات فيها ثم استهوته علوم اللغة فانصرف إليها ، وعكف على دراستها ، وربما حفزه إلى ذلك معايشته للأعراب الفصحاء وقت أن كان أسيرا ،.فاستقي كثيرًا من مفردات اللغة .

القصد من تأليفه :

لقد كان الأزهرى يهدف من تأليف كتابه إلى تدوين مفردات اللغة التي صحت لديه سماعا أو رواية عن ثقة ، وغربلتها و نفي الزيف عنها خطأ و تصحيفا و تحريفا ، ولقد أفصح عن مقصده هذا فقال : (١)

« سميت كتابى تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغة العرب من الألفاظ التى أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت في كتابى من التصحيف والخطأ بقدر علمي » .

ثم يقول أيضا (٢) : « ولم أودع كتابي هذا إلا ماصح لي سماعا عنهم او رواية عن ثقة او حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتي» .

---

(١) مقدمة التهذيب ص ٧ .

(٢) مقدمة التهذيب التهذيب ص ٤٠ .

منهج الأزهرى في تهذيبه

ترسم الأزهرى خطي الخليل في منهجه الذى انتهجه في كتاب العين جملة وتفصيلا ، فرتب مواد معجمه على الأبجدية الصوتية كما فعل الخليل وتبعه أيضا حين وضع تقليبات المادة اللغوية تحت أبعد حروفها مخرجا ، واقتفي أثره حين قسم معجمه إلى كتب و لكنه خالفه في عدد الأبنية فجعلها ستة وهي الثنائي المضاعف و الثلاثي الصحيح و الثلاثي المهمـــوز و الثلاثي المعتل اللفيف والرباعي و الخماسي ، وهو في كل هذا ينبه على المهمل و المستعمل و يضيف إلى المواد التي نقلها عن الخليل ما اقتبسه من كتب النوادر وهو كثير وقد كان شديد التأثر بآراء الخليل النحوية فأخذ كثيرا منها من غير أن يصرح بذلك .

ولا أكون مغاليا إذا قلت : إن الأزهرى قد أخذ جل مافي العين و ضمنه كتابه فما إرتآه صحيحا سجله في معجمه ناسبه مرة إلى الليث تلميذ الخليل وأخرى يهمل تلك النسبة ، وما لمْ يعتقد صحته سجله بهدف نقده و تبيان وجه الصواب فيه وذلك مثل قوله :(١) « قال ابن المظفر : العِدُّ موضع يتخذه الناس يجتمع فيه ماء كثير و الجميع : الأعداد.. قلت : غلط الليث في تفسير « العد » و الصواب في تفسير « العد » ما رواه أبو عبيد عن الأصمعي أنه قال : الماء العِدّ : الدائم الذى لا انقطاع له مثل العين وماء البئر » .

فالأزهرى قد اعتمد اعتمادا كليا على كتاب العين لدرجة أنه لايكاد يذكر مادة دون أن يورد اسم الليث فيها . وبرغم هذا فان الباحث قد يجد فروقا بين ما أخذه من العين حين ينسب إلى الليث مالا وجود له فيما طبع من كتاب العين ، ولعل مرجع ذلك هو اختلاف النسخ بعضها عن بعض ، ولقد توسع كثيرا جدا في الاقتباس عن علماء اللغة الأمر الذى حدا به إلى ذكر كثير من المواد التي عدها الخليل و ابن دريد مهملة لا استعمال لها .

ومع هذا نلمح له شخصيته العلمية المستقلة حين يدلي برأيه مفسرا وموضحا حتي يقرب المعني من الأذهان كأن يقول :(٢) « التعضوض تمر أسود قلت : وقد أكلت التعضوض بالبحرين ...ومنبته هجر وقراها » ومن ذلك أيضا قوله :(٣) « قال الليث : الدعاعة : حبة سوداء يأكلها فقراء البادية إذا أجدبوا ، قال : ويقال لنملة سوداء تشاكل هذه الحبة : دعاعة والجمع دعاع قلت : هما حبتان بريتان إذا جاع البدوى في القحط دقها وعجنها واختبزها فأكلها » .

---

(١) التهذيب جـ ١ : مادة : « عد » .
(٢) التهذيب جـ ١ : مادة : « تعض » .
(٣) التهذيب جـ١ : مادة : « دع » .

وقد اعتمد على السماع كثيرا يرشد إلى ذلك قوله : (١) « سمعت أعرابيا من بني تميم يقول : هجعنا هجعة وقت السحر ».

ويرجع اعتماده على السماع إلى وقوعه في الأسر فأقام بين الفصحاء من أعراب البادية مدة طويلة وأفاد منهم الشيء الكثير وظهر أثر ذلك بوضوح في معجمه . وبرغم هذه الضخامة التي عليها معجم التهذيب فان الأزهري يراه موجزا فيقول :(٢)«ولو أنني أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري وقرأته من كتب غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون وأفسدها المصحفون لطال كتابي ، ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها ولقليل لا يخزى صاحبه خير من كثير يفضحه»

ولقد نبه على حذف بعض المواد وكذلك بعض الشواهد رغبة عن التطويل فقال: (٣)«ولو أن ناظرا ينظر في كتابي هذا فيرى أنه أخل به إعراضي عن حروف لعله يحفظها لغيرى ، وحذفي الشواهد من شعر العرب للحزف بعد الحرف فيتوهم ويوهم غيره أنه حفظ ما لم أحفظه ، ولا يعلم أني عزوت فيما حذفته إعفاء الكتاب من التطويل الممل والتكثير الذى لا يحصل ».

دوافع الأزهري إلى تأليف تهذيبه

بين الأزهري في مقدمة تهذيبه الدوافع التي جعلته يؤلف هذا المعجم فقال : (٤) « وقد دعاني إلى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب و ألفاظها ، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها ، والاستشهاد بشواهدأشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها خلال ثلاث :ـ

منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم ، وأقمت بين ظهرانيهم سنيات إذا كان ما أثبته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التى ألفوها والنوادر التى جمعوها ما لاينوب مناب الماشهد ة ولا يقوم مقام الدربة والعادة .

ومنها النصيحة الواجبة علي أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم ما لعلهم يحتاجون إليه ، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :« ألا إن الدين النصيحة لله و لكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ».

و الخلة الثالثة هي التي لها أكثر القصد . أني قرأت كتبا تصدى مؤلفوها لتحصيل لغات

(١) التهذيب : مادة «هجع » .
(٢) المصدر السابق ص ٤٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٠ وما بعدها .
(٤) مقدمة التهذيب ص ٦ .

العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب إلى الخليل ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا .

وألفيت طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لا يعرفون من آفات الكتب المصحفة المدخولة ما عرفته ، وكان من النصيحة التي التزمتها توخيا للمثوبة من الله عليها ، أن أنضح عن لغة العرب ولسانها العربي الذى نزل به الكتاب وجاءت السنن والآثار ، وأن أهذبها بجهدى غاية التهذيب ، وأدل على التصحيف الواقع في كتب المتخاذلين ، والمعور من التفسير المزال عن وجهه لئلا يعتبر به من يجهله ولا يعتمده من لايعرفه »

وكان الأزهرى ـ رحمه الله ـ مولعا بعلوم اللغة لا يمل طول النظر فيها يدل على ذلك قوله :(١)

« وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين مولعا بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها وأخذها من مظانها وأحكام الكتب التي تأتي لي سماعها من أهل الثبت والأمانة للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين» .

(١) مقدمة التهذيب ص ٧ .

دراسته القرآنية و أثرها في تهذيبه

قلنا إن الأزهرى ابتدأ حياته العلمية بالدراسة القرآنية وطبيعي أن نجد أثارا لهذه الدراسة في علاجه لبعض المواد اللغوية فكان ينزع إليها كلما وجد فرصة مناسبة و من مظاهر هذا التأثر استشهاده بالقراءات القرآنية كأن يقول في مادة « عز» « وعزني في الخطاب » (١) يقصد غلبني ثم يورد القراءة الثانية وهي « وعازني في الخطاب » بمعني غالبني ...وأما قوله تعالى :« فعززنا بثالث»

(٢) فمعناه قويناه وشددناه وقال الفراء يجوز « عززنا » مخففا بهذا المعنى كقولك شددنا.

ومن مظاهر هذهالدراسة أنه أفرد بابا خاصا سماه « باب تفسير الحروف المقطعة في القرآن الكريم» و عالج فيه معاني الحروف التي افتتحت بها أوائل سور آى الذكر الحكيم .

وفي مادة « عضه » يتتبعها في القرآن الكريم معني واشتقاقا فيقول : « وأما قول الله عز وجل : (الذين جعلوا القرآن عضين) (٣) فقد اختلف أهل العربية في اشتقاق أصله وتفسيره فمنهم من قال واحدها « عضة » و أصلها « عضوة » من عضيت الشيء إذا فرقته ، جعلوا النقصان الواو ، المعني : أنهم فرقوا ـ يعني المشركون ـ أقاويلهم في القرآن أى فجعلــوه مرة سحرا و مرة شعرا و مرة كهانة .

ومنهم من قال.أصل « العضة » « عضهة » فاستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا: عضة كما قالوا : شفة والأصل شفهة وكذلك سنة وأصلها سنهة . ومن مظاهر هذه الدراسة أيضا نزوعه إلى

---

(١) سورة ص آية ٢٣ .
(٢) سورة يس آية ١٤ .
(٣) سورة الحجر آية ٩١ .

ذكر بعض القضايا الفقهية ، وهذا ليس بجديد عليه ، فقد كان فقيها ضليعاً في فقه الشافعية ومن هذه الدراسة الفقهية قوله في مادة « خلع » وخلع امرأته وخالعها اذا افتدت منه بمالها فطلقها وأبانها من نفسه وسمي بذلك الفراق خلعا ، لأن الله جل وعز جعل النساء لباسا للرجال والرجال لباسا لهن فقال : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » (١) .

وهي ضجيعته وضجيعه ، فاذا افتدت المرأة بمال تعطيه لزوجها ليبينها منه فأجابها إلى ذلك فقد بانت منه وخلع كل واحد منهما لباس صاحبه .

والاسم « الخلع » والمصدر « الخَلْع » .

وقد اختلعت المرأة منه اختلاعا إذا افتدت بمالها فهذا معنى الخلع عند الفقهاء» ومن ذلك أيضا قوله في مادة :« عَنّ »«و الشركة شركتان شركة العنان و شركة المفاوضة ، فأما شركة العنان فهو أن يحضر كل واحد من الشريكين دنانير أو دراهم مثل ما يخرج الآخر و يخلطانها و يأذن كل واحد منهما لصاحبه بأن يتجر فيه ، ولم يختلف الفقهاء في جواز هذه الشركة وأنهما إن ربحا فيما تجرا فيه فالربح بينهما وإن وضعا فعلى رءوس أموالهما.

أما شركة المفاوضة ، فأن يشتركا في كل شي يملكانه أو يستعبدانه من بعد ، و هذه الشركة عند الشافعية باطلة » .

بين العين والتهذيب

يبدو تأثر الأزهرى بالخليل واضحا فهو تابع و مقلد لمدرسة الخليل المعجمية فقد سار على طريقة العين في الترتيب الصوتي و التقليبات والأبنية .

إلا أن المادة العلمية في التهذيب أغزر منها في كتاب العين . ولعل الأزهرى يصدر في ذلك عن تنويع مصادره و تعددها .

و يمتاز الأزهرى من الخليل بافراطه في استقراء أقوال اللغويين السابقين عليه ولكنه لم يوفق في ترتيبها و تنسيقها . فاضطربت المواد وتكررت و اختلط بعضها ببعض و ينفرد كذلك بالشواهد الكثيرة ، وربما دفعه إلى ذلك إحساسه بأنه مقلد وتابع ، فأ راد أن يجعل لنفسه شيئا ينفرد به عن كتاب العين .

و يفترقان أيضا في أن الخليل جمع المهموز مع المعتل وأما الأزهرى فقد أفرد له بابا خاصا وفصله عن المعتل . ومن يتصفح مقدمة التهذيب يجد أن الأزهرى برغم حملته العنيفة على كتاب العين ،قد نقل كل أراء الخليل الصوتية ، ولم يزد عليها شيئا وحين الحديث عن الأبنية نقل معظم كلام الخليل بما يكاد يكون بلفظه .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧

التهذيب في ميزان النقد

ينبغي لنا في ختام حديثنا عن معجم التهذيب أن نذكر ما له وما عليه :

١ ـ يذكر له بالفضل والثناء الجم أنه كان يعمل قلمه فيما يعرضه تعليقا ونقدا ، ولعل فترة الأسر التي قضاها بين فصحاء البادية أنضجت شخصيته اللغوية فظهر أثرها في تهذيبه .

٢ ـ غزارة المادة العلمية لاطلاعه على كثير من كتب اللغة السابقة عليه فنقل ما يحلو له .

٣ ـ الأمانة العلمية في النقل وذلك حين يصرح بأسماء من نقل عنهم .

٤ ـ الاكثار من الشواهد التي تدعم المعنى و تقويه .

٥ ـ اهتمامه بالنوادر والأخبار

٦ ـ ويذكر له بالفضل كذلك أنه كثر المواد اللغوية كثرة تربو على مافي العين والجمهرة ، منتقيا مواده بعناية شديدة ناقدا لها نافيا الزيف عنها .

٧ ـ ويمتاز كذلك بعنايته « بالبلدان والأماكن و المياه عناية كبيرة جعلت كتابه من أصح المصادر في هذا السبيل فقد وقف بنفسه على كثير منها أو جلها ، ولو جردت في كتاب على حدة لكان من خير كتب البلدان » (١)

ومن المآخذ التي عدت عليه ما يلي :ـ

١ ـ صعوبة البحث فيه وذلك لاتباعه الأبجدية الصوتية و التقليبات ، و تلك طريقة تجهد الباحث و تصده عن غايته .

و لعل هذه الصعوبة التي نستشعرها الآن لم تكن بادية في عصره لرقي المستوى آنذاك .

٢ ـ وقد أخذ عليه أيضا كثرة التكرار ، ولربما كان مرجع ذلك هو جمعه لكثير من أقوال اللغويين السابقين على اختلاف نزعاتهم وآرائهم .

٣ ـ أنه لم يضف جديدا إلى منهج التأليف المعجمي ، ذلك أن منهجه هو نفس منهج العين .

٤ ـ إتيانه بكلمات غير شائعة ، وليست موضع اتفاق بين العلماء من حيث صحتها ، وقد تأثر في ذلك بمعايشته للأعراب الذين يتكلمون بفطرتهم اللغوية و بالأداء الذى مرنوا عليه .

٥ ـ تجريحه وطعنه في كثير من أئمة اللغة لاشباع هوى ذاتي .

ومهما يكن من أمر هذه النقود فان التهذيب يعد أساسا لدراسات كثيرة ، فقد أفاد منه الصاغاني في عبابه و ابن منظور في لسانه وسيظل مصدرا لكثير من المؤلفات .

---

(١) مقدمة الصحاح

معجم الجمهــرة

مؤلفه :

أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد وهو ينحدر من أصل عربي خالص ولد سنة ٢٢٣هـ وتوفي سنة٣٢١هـ وكانت ولادته بالبصرة ونشأته بامارة عمان على ساحل الخليج العربي ، وفي طلب العلم كانت له رحلات أفاد منها الشيء الكثير ، ثم تعهده والده بالرعاية والعناية حتى غدا مرجع أهل العلم وصدر مجالسهم ، حافظا للغة وآدابها ولأنساب العرب وأشعارها .

ولقد رزق توقد الذهن وحضور البديهة ، وقدرة عجيبة على الحفظ والاستزادة من العلم والتعمق فيه .

تراثه المعجمي :

في ميدان التأليف المعجمي كانت لابن دريد اليد الطولى فخلف تراثا معجميا يمكن تصنيفه إلى صنفين صنف خاص بمعاجم المعاني و يمثله كتاب« الخيل الكبير » وكتاب « الخيل الصغير» وكتاب « الأنـواء » .

وصنف خاص بمعاجم الألفاظ ويمثله كتاب « الجمهرة » وهو موضوع حديثنا الآن .

القصد من تأليفه :ـ

هو جمع الكلمات الشائعة الذائعة على السنة جمهور العرب ، وإغفال الكلمات الوحشية المستنكرة ؛ ولقد أفصح عن ذلك فقال :(١) « وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي المستنكر ».

---

(١) مقدمة الجمهرة ص ٤

منهج الجمهرة في جمع اللغة

١ ـ ترتيب المفردات على طريق الأبجدية العادية ، وهو في هذا يعتبر ممثلا لمرحلة مستقلة من مراحل تطور التأليف المعجمي .

٢ ـ وضع المادة ومقلوبها في مكان واحد ، وهو في هذا يصدر عن الخليل في كتابه العين .

٣ ـ سار على نهج العين وذلك حين صنف المفردات حسب كميتها مبتدئا بالثنائي المضاعف وملحقاته والثلاثي وملحقاته والرباعي وملحقاته والخماسي وملحقاته ثم اللفيف والنوادر .

ولقد تناول ابن دريد أسس منهجه فقال :ـ(١)

« فمن نظر في كتابنا هذا فأثر التماس حرف ثنائي فليبدأ بالهمزة و الباء إن كان الثنائي باء ثقيلة أو الهمزة و التاء ...إلى آخر الحروف

وأما الثلاثي فإنا بدأنا بالسالم منه فمن أحب أن يعرف حرفا من أبنيته...فليبغ ذلك في جمهور أبواب الثلاثي السالم ، ومن أراد بناء يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد فإنا قد أفردنا بابا في آخر الثلاثي تقف عليه مع المعتل إن شاء الله.

فأما الرباعي فان أبوابه بجمهرة على حدتها ... ثم جعلنا للملحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد أبوابا مثل فوعل نحو كوثر وفعول نحو جهور وفيعل نحو خيعل وبيطر وفعيل نحو خذيم . فهذا سبيل بالرباعي في الأسماء والصفات .

وأما الخماسي فنبوب له أبوابا لم نحوج فيه إلى طلب لقرب تناولها وكذلك الملحق بالخماسي بحرف من الزوائد ، فان عسر مطلب حرف من هذا ، فليطلب في اللفيف فانه يوجد إن شاء الله تعالى . وجمعنا النوادر في باب فسميناه النوادر لقلة ما جاء على وزن ألفاظها .

بين العين والجمهرة

لقد ترسم ابن دريد خطى الخليل فيما يختص بالأبنية والتقليبات ،ولكنه خالفه حين رتب جمهرته على الأبجدية العادية ، ومن يقرأ مقدمة كتاب الجمهرة يلمس إلى أي حد كان تأثر ابن دريد بالخليل ، وأن ما يراه يعتبر ترديدا لآراء الخليل التي تمثلها ابن دريد في نفسه ووعاها في ذاكرته فأفاد منها ويظهر ذلك بوضوح حين يتحدث عن صفات الحروف وأجناسها مصمتة ومذلقة ،مجهورة

---

(١) المصدر السابق ص ٣

ومهموسة ، رخوة وشديدة ،(١)وقد نقل عن الخليل بعض القوانين الصوتية كأن يقول :(٢)إنه« لايكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة » ثم يتحدث بلفظ الخليل فيقول :(٣) « لولا بحت الحاء لأشبهت العين فلذلك لم تأتلفا في كلمة واحدة » وموقف ابن دريد من الوحشي أوالغريب يختلف عن موقف الخليل منه ذلك أن الخليل سوى بينه وبين الكلمات الشائعة على ألسنة جمهور العرب فجمعه معها على حين لم يفعل ذلك ابن دريد ،فأفرد له فصولا ألحقها بالكتاب ، وخالف الخليل أيضا حين بدأ كل باب بالحرف الذي توقف عنده غير ناظر لما سبقه لوروده فيما ذكر من مواد .

ويلتقيان في بعض الصيغ القليلة ، وفي عبارات الشرح التي تتشابه إلى حد كبير ، وكذلك في علاج كثير من الشواهد وإن كان لكل منهما شواهده التي يمتاز بها من غيره .

وينفرد الخليل عنه بتنظيمه الداخلي للمواد ، ويحاول ابن دريد ذلك ولكنه لايوفق .

ويتناول الخليل قواعد النحو والصرف بأسلوب سهل واضح بعيد عن الخطأ أو الخلل على حين نجد ابن دريد في تناوله لهذه القضايا تلتوي عليه العبارة ،فينزع إلى الخفاء والابهام ، وقد يخطيء أحيانا لعدم تمكنه من قواعد هذين العلمين يشير إلى ذلك قول ابن جنى (٤)« وأما كتاب الجمهرة ففيه من فساد التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر » وفي مقدمة كل من العين والجمهرة اضطراب لكنه في العين اضطراب ترتيب الموضوعات وفي الجمهرة اضطراب الرأي و الفكر .

وبلغ من تأثر ابن دريد بالخليل وتقديره له أنه كان يتحاشى نسبة الخطأ إليه إذا ما وجد شيئا من ذلك في كتابه العين و ينسبه إلى راويته في ذلك وهو الليث بن المظفر ويصور ذلك ما جاء في مادة شفا » وفيها يقول ابن دريد :« والشدف الشخص ،رأيت شدفا أي شخصا ، ولا تنظرنَ إلى ما جاء به الليث في كتاب الخليل في حرف « السين » فقال : سدف في معنى « شدف » فانه غلط من الليث عن الخليل » وكان كثيرا ما يدافع عن الخليل ويرد ما يوجه إليه من تهم ويتمثل ذلك في قوله في مادة « دشق » « وقال بعض أهل اللغة : الدقش : ضرب من الطير الأرقش وزعموا أن الخليل سأل أبا الدقيش : ما الدقيش ؟ فقال لا أدري إنما هي أسماء نسمعها نسمى بها ولا نعرف معانيها ، وهذا غلط وادعاء على أبي الدقيش ، وكيف يخفى على أبي عبدالرحمن نضر الله وجهه مثل هذا ، وقد سمع العرب سمت دقشا ودقيشا ودنقشا فزادوا نونا وألحقوا بناءفعل ببناء فنعل ، وجاءوا به مكبرا

---

(١) مقدمة الجمهرة ص ٦ ومابعدها
(٢) المصدر السابق ص ٩
(٣) المصدر السابق ص ٩
(٤) المزهر جـ ١ ص ٩٣

ومصغرا ، ومدوه من بنات الثلاثة إلى بنات الأربعة بالنون الزائدة » وقد كان للخليل نزعة اشتقاقية ينزع إليها في تفسير الأعلام كلما لاحت له فرصة . وقد تأثر ابن دريد بطريقته هذه فبنى عليها كتابه « الاشتقاق » ومما يدل على تأثره به أنه نقل عن الخليل ما قاله في اشتقاق خزاعة (١) وذلك حين تحدث عن مادة « خزع »

يقول ابن دريد ما يكاد يكون بلفظ الخليل نقلا عن كتاب العين « واشتقاق خزاعة من قولهم : انخزع القوم عن القوم ، إذا انقطعوا عنهم ، وفارقوهم وذلك أنهم انخزعوا عن جماعة الأسد أيام سيل العرم لما أن صاروا إلى الحجاز ، فافترقوا بالحجاز فصار قوم إلى عمان ، وآخرون إلى الشام » قال حسان :

فلما قطعنا بطن مر تخزعت ... خزاعة منا في جموع كراكر

ويقول ابن دريد في اشتقاق قضاعة « واشتقاق قضاعة من شيئين إما من قولهم : انقضع عن أهله إذا بعد عنهم ، أو من قولهم : تقضع بطنه إذا أوجعه أو وجد في جوفه وجعا».

وهو في الاشتقاق الأول يصدر عن قول الخليل :(٢) « وقيل هو اسم سمي بذلك لانقضاعه عن أمه » وينفرد ابن دريد بالاشتقاق الثاني كما انفرد الخليل باشتقاقه من القهر حين قال :(٣) « وقيل : هو من القهر ، لأنه قهر قوما فسمي به ، وهو أبوحي من اليمن واسمه : قضاعة بن معد بن عدنان قال : وكانوا أشداء على أعدائهم في الحروب ونحوها»

الجمهرة في ميزان النقد

حتي لانكون متحيفين فنبخس الرجل حقه ، ينبغي لنا أن نذكر ماله من حسنات وما عليه من سيئات :

فمن حسناته :ـ

١ ـ أنه خطا بالمعجم العربي خطوة كبيرة إلى الأمام وذلك حين رفع عن كاهل الباحث عبئا ثقيلا كانت تمثله الأبجدية الصوتية التي ابتكرها الخليل بن أحمد .

٢ ـ الأمانة العلمية في النقل ، فهو يذكر أسماء من نقل عنهم مشيرا إلى مؤلفاتهم .

٣ ـ كتاب الجمهرة له قيمة أدبية بجانب قيمته اللغوية فقد حوى كثيرا من الشواهد قرآنا كريما وحديثا شريفا وشعرا ونثرا فصيحا .

---

(١) العين مادة « خزع »

(٢) العين مادة « قضع »

(٣) المصدر السابق مادة : « قضع »

٤ ـ شرحه للألفاظ الغريبة التي ترد في شواهده حتى يشفي غلة الباحث فتتم الفائـدة من معجمه و يكثر الاقبال عليه .

ومن سيئاته :

١ ـ أنه أوضح في مقدمة كتابه اكتفاءه في جمع اللغة بجمهور كلام العرب (١) ، لكنه لم يلتزم بهذا فما لبث أن تحلل منه حين جمع كثيرا من الكلمات الوحشية المستنكرة بل بلغ به الأمر أنه أفرد بابا خاصا للنوادر (٢) . واخذ على هذا الاتجاه أيضا أنه أفقد اللغة جانبا من ثروتها اللفظية ، ربما أفاد منه الباحثون في الدرس التاريخي للغة .

٢ ـ نظام التقليبات اضطره كما اضطر الخليل من قبله إلى إيراد كثير من المفردات في غير أماكنها المقررة لها .

٣ ـ عدم النص على ضبط المواد إلا نادرا ، وقد كان الأجدر به ألا يغفل ذلك فقد ألفه « والنقص في الناس فاش » كما هو صريح قوله (٣).

٤ ـ إنه لم يسر على نهج المعاجم الهجائية وذلك حين جمع كثيرا من المفردات التي تدور حول معنى واحد وهو منهج المعاجم المبوبة مثل جمعه للألفاظ التي جاءت في الشدة تحت عنوان « ما جاء في الشدة والصلابة » وكذلك ما جاء في السرعة ، ما جاء في المضاء .

٥ ـ أفرط في ذكر الألفاظ المولدة و المريبة لدرجة أن السيوطي عده المرجع في ذلك : (٤)

٦ ـ شرحه لبعض الألفاظ بعبارة « شيء معروف » مأخذ يؤخذ عليه ، فقد يكون معروفا لديه وغير معروف لغيره .

٧ : أن الثنائي الصحيح عنده هو المضعف بالتشديد « اللفظ ثنائي والمعنى ثلاثي وإنما سمي ثنائيا للفظه وصورته ، فاذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة والثاني حرفين مثلين أدغم أحدهما في الآخر نحو بتّ يبتّ في معنى قطع » (٥) وهذا منهج ألزم به نفسه ، ولكنه لم يف بما وعد والدليل على ذلك أنه عندما أخذ في علاج « دعّ »أتى بالثنائي المضعف بالتكرار فقال : (٦) « ودعدع الاناء إذا ملأه » .

٨ ـ التكلف والتعسف في اشتقاق الأعلام المنقولة فقد احتال وتلطف في إيجاد صلات وروابط تربطها بما نقلت عنه فأسرف وأغرب .

---

(١) مقدمة الجمهرة ص ٤

(٢) الجمهرة ج ٣ ص ٤٥٨ ومابعدها

(٣) المصدر السابق ص ٣

(٤) المزهر ج ١ ص ١٠٣

(٥) الجمهرة ج ١ صباب الثنائي الصحيح

(٦) الجمهرة ج ١ باب الثنائي الصحيح مادة « دّع »

٩ ـ اختلاق الألفاظ ورماه بذلك الأزهري إذ قال : (١) « وممن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبوبكر محمد بن الحسن بن دريدالأزدي صاحب كتاب « الجمهرة » وتجريح الأزهري هذا ربما يكون لحاجة في نفسه ذلك أنه يريد أن يعلي شأن معجمه على بقية المعاجم الأخرى ومنها الجمهرة .

١٠ ـ الخلط والتكرار في أبواب الصحيح وذلك حين اعتبر تاء التأنيث حرفا ثالثا في كلمة « العجة » فوضعها في باب الثلاثي فيقول :« والعجة : ضرب من الطعام عربية صحيحة » .

وينبغي أن توضع في باب الثنائي « جع » ومعكوسه ولكنه خلط بين البابين .

و بعد فهذه الهنات التي عددناها عليه لاتقدح في قيمته العلمية خصوصا إذا علمنا أنه أملاه من محفوظه (٢) .

ويكفيه تقديرا أنه سيبقي علامة بارزة لتطور التأليف المعجمي وأنه لم يتقول على أئمة اللغة فينطقهم ما لم ينطقوا به ، أو يسند إليهم رواية لفظ لم يرو عنهم و من هنا انتشر كتابه في حياته وبعد مماته ، وعكف عليه كثير من الباحثين والدراسين قراءة وفهما واستيعابا وشرحا .

---

(١) مقدمة التهذيب ص ٣١

(٢) الجمهرة ج ٣ ص ٥١٤

تاج اللغة وصحاح العربيـة

مؤلفـه :

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، حياته كانت في طلب العلم واغترابا في سبيله ، والتقاء بأعراب البادية ومشافهتهم وأخذ اللغة عنهم ، فلما أتقنها وأنس في نفسه القـدرة على التـأليف والتدريس تصدر مجالس العلم ، ولقد كان لأساتذته دور كبير في تثقيفه وتهذيبه وتربيته وتعليمه ، ومؤلفاته تنطق بعبقريته فهو بحق من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة ولد سنة ٣٣٢هـ وتوفي سنة ٣٩٨هـ .

الغايــة من تأليفه:ـ

قصد الجوهرى من تأليف صحاحه جمع اللغة التي صحت لديه سماعا أو رواية عمن يثق في أمانته العلمية ، ثم إنه لاحظ في المعاجم السابقة عليه صعوبة في البحث فأراد تسهيل هذه المهمة ولقد وفق إلى ما أراد توفيقا يغبط عليه .

منهجـه في تدوين اللغة

١ ـ ترتيب الكلمات حسب آخرها ويكون بابا وأولها ويكون فصلا ، ويقال إن العصر الذى عاش فيه الجوهرى يغلب عليه طابع الكلام المسجوع أو المنظوم فاستوحي منها نظريته في جمع مفردات

اللغة ويقال أيضا إن دافعه إلى ابتكار هذه الطريقة أنه رأى أصحاب القوافي من الشعراء وأصحاب السجع من الكتاب في حاجة إلى مفردات اللغة باعتبار آخرها فابتكر لهم هذا النظام تيسيرا عليهم .

وهذا القول فيه نظر لأن مؤداه أن الجوهرى خص هاتين الطائفتين بمعجمه هذا ، وما لهذا قصد الجوهرى فقد ألفه للجميع .

وقد يقال ـ وهو الأجدر بالقبول ـ إنه استلهم طريقته هذه من خبرته الطويلة في علم الصرف ومعايشته له حين اشتغل به فهو خطيب المنبر الصرفي وإمام المحراب اللغوى .

فقد لاحظ أن الفاء والعين يعتريهما التغيير وليست لهما صفة الثبات والاستقرار على حين أن اللامثابتة ومستقرة فآثرها دونهما لتكون أساس نظريته هذه ولقد قضت هذه الطريقة على أخطر مشكلتين عانى منهما المعجم العربي زمنا طويلا ، وهاتان المشكلتان هما نظام الابنية والتقليبات ، وبالقضاء على النظام الأول تخلص المعجم العربي من الاضطراب الحاصل في أبواب الرباعي المضاعف ، وهل يوضع في باب خاص أو يدرج تحت باب الثنائي كما فعل بعض اللغويين وتخلص أيضا من الفوضى الجاثمة على أبواب اللفيف وأبواب الرباعي والخماسي ، وهل ينتظمهما باب واحد أو يجعل لكل منهما باب مستقل .

وباختفاء التقليبات تخفف المعجم العربي من عبء أثقل كاهله مدة طويلة ، ذلك أن نظام التقليبات كان يكلف الباحث من أمره نصبا ، فلا يصل إلى المادة موضوع البحث إلا بعد جهد جهيد ؛ لأنه مطالب بقراءة المادة ومقلوباتها حتي يصل إلى مايريد .

والجوهرى بعمله هذا قرب اللغة لمن يريدها ، وسهل الطريق إليها وحببها إلينا وزينها في قلوبنا فجزاه الله عنا وعن لغتنا خيرا .

٢ ـ الأساس في ترتيب المواد هو المجرد .

٣ ـ رد المقلوب لأصله .

٤ ـ رد الجمع للمفرد

٥ ـ ملاحظة الحرف الثاني والثالث في الثلاثي وفي الرباعي والخماسي الثاني والثالث والرابع ودقة الملاحظة هذه أبعدته عن الفوضي والاضطراب .

٦ ـ الضبط إما بالعبارة أو بذكر الميزان الصرفي أو بذكر موازن مشهور لها ، وقد سبقه إلى عملية الضبط هذه أبو علي القالي في معجمه البارع .

الصحاح في ميزان النقد

الصحاح شأنه شأن غيره من المعاجم له ميزات يمتاز بها من غيره وعليه مآخذ ومن مميزاته :

١ ـ التزامه الصحيح من اللغة وهذا أمر لم يلتزم به غيره من اللغويين وفي هذا الصدد يقول السيوطي :(١) « وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح بل جمعوا فيها ما صح وغيره ...وأول من التزم الصحيح مقتصرا عليه الامام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ولهذا سمي كتابه الصحاح » .

٢ ـ سهولة البحث عن معاني المفردات دون مضيعة للوقت والجهد .

٣ ـ الايجاز في الشرح والاكتفاء بالمطلوب .

٤ ـ اهتمامه بقواعد الصرف وذلك أثر من آثار الدراسة التي ابتدأ بها حياته ومن ذلك قوله : (٢) إذا نسبت إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت : مدني وإلى مدينة المنصور قلت : مديني إلى مدائن كسرى قلت : مدائني .

٥ ـ عنايته بالبحوث المتعلقة بفقه اللغة العربية مثل دوران المادة حول معنى واحد كأن يقول : «فالنساء أصل يدل على تأخير تقول نسأت الشيء نسأ وأنسأته أيضا أخرته ونسأ الله في أجله أخره ومنه النسأة العصا لأنها آلة تأخير الشيء وإبعاده ، ومنه النسيء في الأشهر الحرم وهو تأخير حرمة الأشهر الحرم » (٣) .

ومن الماخذ التي عدت عليه :ـ

١ ـ التزامه الصحيح وتركه ما عداه مما شك في صحته فوت عليه كثيرا من مواد اللغة التي ظنها غير صحيحة وماهي كذلك . وإلى هذا يشير الفيروزآبادى فيقول : (٤) « فاته ثلثا اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادرة »

٢ ـ اخذ عليه خلطه بين المعتل والمهموز .

٣ ـ أنه لايحشد الصيغ المتحدة المعنى في مكان واحد بل يضعها في أماكن متباعدة .

٤ ـ أهمل ضبط بعض الألفاظ التي قد لانستطيع ضبطها .

٥ ـ نسبته الأقوال إلى غير أصحابها كأن يقول:«قال الأخفش :شبهوا لات بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل » فهذا القول لم يصدر عن الأخفش وإنما عن سيبويه (٥) .

---

(١) المزهر ج ١ ص ٩٧

(٢) الصحاح باب النون فصل الميم « مادة : مدن »

(٣) الصحاح باب الهمزة فصل النون « مادة نسأ »

(٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٤ وما بعدها

(٥) اللسان باب التاء فصل اللام ، الأشموني ج ١ ص ٢٠٥ ، همع الهوامع ج١ ص ١٢٦

٦ ـ وضعه بعض المواد في غير أماكنها فنجده في مادة « ثوب »يذكر معها « ثيب » ومكانها الصحيح « ثيب » .

٧ ـ أخطاء متعلقة بالصرف كأن يقول « اتقي يتقي أصله او تقى على افتعل فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت » (١)

وهذا غير جار على العرف الصرفي ، فالمعروف أن الواو إذا وقعت فاء لافتعل أبدلت تاء وأدغمت في تاء الافتعال (٢) .

٨ ـ التفسير الخاطيء لبعض الكلمات وذلك مثل قوله :(٣)الصاب: عصارة شجر مر وصحته الصاب شجر مر .

٩ ـ ويؤخذ عليه قوله « ونسأ الله فى أجله أخره(٤) لقول الله عز وجل « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها»(٥) وبعد فهذه هنات بسيطة لاتنقص من قيمة الصحاح العلمية وحسبه أنه أساس لمدرسة معجمية عرفت باسمه وسار على دربها كثيرون .

ويكفي دليلا على الآثار الضخمة التي أحدثها الصحاح في الثقافة العربية وغيرها أنه ترجم إلى الفارسية و التركية ، ولقد تأثر بمنهجه هذا كثير من العلماء في اللغات الأخرى .

---

(١) الصحاح باب الياء فصل الواو مادة : وقي

(٢) أوضح المسالك ج ٣ ص ٣٩٦

(٣) الصحاح باب الباء فصل الصاد

(٤) الصحاح باب الهمزة فصل النون « مادة نسأ »

(٥) سورة المنافقون آية ١١

لسان العرب

مؤلفه :ـ

أبو الفضل جمال الدين بن منظور ولد سنة ٦٣٠هـ وتوفي سنة ٧١١هـ

الغاية من تأليفه :

الجمع بين الحسنيين حسن الجمع وحسن التأليف ، ذلك لأنه لم يتسن لمن سبقه الجمع بينهما فرغب إليهما ، ووفق فيما رغب أيما توفيق وكان حافزه إلى ذلك أمرين هما :

١ ـ الربط بين اللغة والقرآن لأنه جزء من العقيدة الاسلامية وهو في هذا يصدر عن التهذيب للأزهري

٢ ـ كثرة من يجهلون العربية مع زهوهم بأنهم يعرفون غيرها من اللغات الأخرى .

منهج اللسان في جمع اللغة

١ ـ سار علي منهج الصحاح حين رتبه حسب الابواب باعتبار الحرف الأخير والفصول باعتبار الحرف الأول وهذا صريح قوله : (١) « ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول ».

٢ ـ رتب المواد الثلاثية في كل فصل بالنظر الى الحرف الثاني فالثالث والرباعية والخماسية بالنظر الى الحرف الرابع وهذه طريقة الجوهري في صحاحه .

---

(١) لسان العرب ص ٧

٣ ـ تسمية الابواب والفصول كأن يقول : فصل الحاء المهملة ، فصل الخاء المعجمة ، ومثل ذلك فعله في الابواب .

٤ ـ عدم تجاوز النص أو تحريف الكلم عن مواضعه ولذلك فمسئولية ما وقع في الكتاب من أخطاء لاتقع على صاحب اللسان ، وانما تقع على من رجع اليهم وأخذ عنهم .(١)

٥ ـ التعريف بالحرف موضوع الباب ، ففي باب الهمزة مثلا يتحدث عنها من حيث الأصالة والابدال والزيادة و التحقيق و التسهيل .

اللسان والأصوات اللغوية

قسم ابن منظور حروف العربية باعتبار الصحة والاعتلال إلى : (٢)

١ ـ الحروف الصحيحة ، وتتكون عند خروج الهواء من الرئتين وانحباسه أو ضيق مجراه ، واذا تابع الهواء سيره دون احتكاك تكونت الحروف الهوائية ثم يورد تقسيم الخليل للحروف وأنها « تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون صحاح لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف : الواو و الياء والألف اللينة و الهمزة ، وسميت جوفاء لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج في مدرجة من مدارج الحلق ولامدارج اللسان وهي في الهواء فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف » .

٢ ـ قسم الحروف باعتبار الجهر والهمس إلى مجهورة ومهموسة وفسر المجهور بأنه الحرف الذي ينحبس « النفس أن يجري معه ، فصار مجهورا لأنه لم يخالطه شيء يغيره » (٣) والمهموس هو الحرف الذى « لان مخرجه دون المجهور وجرى معه النفس وكان دون المجهور في رفع الصوت » (٤) ويلاحظ أن المقياس الذى جرى عليه ابن منظور في تحديد المجهور والمهموس ، يختلف عن المقياس الذى جرى عليه المحدثون ، فمقياسهم في تحديد الجهر والهمس هو الوتران الصوتيان ، فالحرف الذى يهتز معه الوتران الصوتيان في أثناء نطقه يسمي مجهورا والحرف الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان يسمى مهموسا . (٥)

وضع الحروف في بنية الكمة :ـ

عرض صاحب اللسان للاوضاع التي تكون عليها الحروف في بناء الكلمة العربية وأنها تارة :ـ

١ ـ يتحتم وجودها وذلك في حروف الذلاقة (مربنفل) « فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى

---

(١) اللسان ص ٨

(٢) اللسان ص ١٣

(٣) لسان العرب ص ١٣

(٤) المصدر السابق ص ١٣

(٥) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ٣٥ ، د. أبو الفرج : المعاجم اللغوية ص ٢٩

منها أو من بعضها ، فاذا ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق والشفوية ، فاعلم أنه مولد وليس من صحيح كلام العرب وأما بناء الرباعي المنبسط فان الجمهور الأكثر منه لا يعرى من بعض الحروف الذلق إلا كلمات قليلة نحو عشر ومهما جاء من اسم رباعي منبسط معرى من الحروف الذلق والشفوية ، فانه لايعرى من حرفي الطلاقة (القاف أو العين) أو كليهما ومن السين والدال أو أحدهما ولايضره ما خالطه من سائر الحروف الصمت » (١)

٢ - وتارة يكون وقوع بعض الحروف محسنا للبناء « فالعين والقاف لاتدخلان على بناء إلا حسنتاه ، لأنهما أطلق الحروف ، أما العين فأنصع الحروف جرسا ، وألذهما سماعا وأما القاف فأمتن الحروف وأصحها جرسا ، فاذا كانتا أو إحداهما في بناء حسن لنصاعتهما » (٢)

٣ - وأحيانا يمتنع ورودها وذلك اذااتحد مخرجها ومن ذلك الحاء والهاء لايجتمعان « في كلمة واحدة أصلية الحروف ، وقبح ذلك على ألسنة العرب لقرب مخرجيهما...ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحد منهما معني على حدة كقول لبيد : ولقد يسمع قولي حي هل

وكقول الآخر : هيهاه وحيهله ، وإنما جمعهما من كلمتين : « حي » كلمة على حدة ومعناها « هلم » و « هل » حثيثي ، فجعلهما كلمة واحدة ، وكذلك ما جاء في الحديث : « إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر » يعني إذا ذكروا فأت بذكر عمر » (٣)

« والحاء والعين لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل حي على فيقال حيعل » (٤)

« والزاى والسين والصاد في حيز واحد ... قال الأزهرى لا تاتلف الصاد مع السين ولا مع الزاى في شيء من كلام العرب » (٥)

« والقاف والكاف لهويتان ، وقال أبو عبدالرحمن تأليفهما معقوم في بناء العربية لقرب مخرجيهما إلا أن تجيء كلمة من كلام العجم معربة... ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عكرة اللسان وبين اللهاة في أقصي الفم ، والقاف والجيم كيف قلبتا لم يحسن تأليفهما إلا بفصل لازم » (٦)

ثم ينقل رأى الخليل والازهرى في وقوع الشين بعداللام فيقول :« قال الخليل : ليس في كلام العرب شين بعد لام ، قال الازهرى : وقد وجد في كلامهم الشين بعد اللام قال ابن الأعرابي وغيره : رجل لشلاش إذا كان خفيفا قال الليث : اللشلشة كثرة التردد عند الفزع... يقال جبان

(١) اللسان : باب الباء
(٢) اللسان باب العين
(٣) اللسان باب الحاء
(٤) اللسان باب العين
(٥) اللسان باب السين المهملة
(٦) اللسان باب القاف

لشلاش ابن الأعرابي : اللش : الطرد » (١)

بين الصحـاح واللســان :ـ

١ ـ التقي مع الجوهرى في ترتيب المفردات حسب الأبواب والفصول وفي ترتيب المواد الثلاثية في كل فصل باعتبار الثاني فالثالث والرباعية والخماسية باعتبار الرابع كما سبق أن قدمنا.

٢ ـ حين يقدم صاحب الصحاح فصل الواو على فصل الهاء نجد ابن منظور يعكس فيقدم فصل الهاء على الواو .

٣ ـ كان ابن منظور يضبط بالعبارة ، ولكنه في ذلك دون الجوهرى .

٤ ـ التزم الجوهرى في جمعه للغة الصحيح منها ، ولم يفعل ذلك ابن منظور لأنّه تغيا من معجمه جمع اللغة لاغربلتها .

٥ ـ تحاشي تصحيفات الصحاح وهو في هذا يصدر عن الأزهرى وابن برى وغيرهما .

السمات البارزة في اللسان :ـ

١ ـ يتسم اللســان بالدقـة إلا أنـه في بعض المواد يخيم عليه جو من الاضطـراب والتناقض .

٢ ـ التكرار وهو في هذا مدفوع بابراز المعاني الجدبدة إلا أنه قد يكرر من غير حاجة إلى ذلك عندما يكون المعني واحدا .

٣ ـ ومن السمات الغالبة على اللسان أيضا أنه يبدأ المادة اللغوية بالأسماء ولكنه لم يلتزم بهذا كمنهج لا يحيد عنه ، فأحيانا يقدم الفعل كما حدث في مادة« ركب » مثلا .

ثم ينهي كلامه عن المادة اللغوية بذكر الأعلام سواء أكانت أعلام أشخاص أم قبائل أم بلدانا ، وهو في هذا يغلب عليه طابع الالتزام ، وفي أثناء ذكر الأعلام قد يتعرض لشرح بعض المفردات كما حدث في مادة « رحب » مثلا فقد شرح « الرحاب » بعد أن أتي ب « رحابه » والتي فسرها بأنها مكان معروف .

---

(١) اللسان : باب الشين فصل اللام

اللسان في ميزان النقد

من المآخذ التي وجهت إليه مايلي : ـ

١ ـ التكرار ومن ذلك مافعله في مادة « عق » فقد ذكر عقيق المدينة مرتين إحداهما عن المحكم وأخراهما عن التهذيب .

٢ ـ عدم التزامة لما صح من اللغة فقط ، وقد يغتفر له ذلك لأنه لم يكن ضمن أهدافه حين ألف معجمه .

٣ ـ تداخل النصوص التي نقلها من مصادر متعددة مما ألجأه إلى تكرار الشرح لبعض الصيغ .

٤ ـ قد لايشير إلى ضبط المادة اللغوية ، وماتفرع عنها من صيغ ففي مادة « حلأ » جاء بالفعل من غير ضبط بأي وسيلة من وسائل الضبط المعروفة له ولغيره وقد عيب عليه هذا المسلك لأن الباحث ربما يكون في حاجة الى معرفة ضبط مايبحث عنه فلا يجد مايريد ولعل تهاونه في ذلك راجع الى تنوع مصادره بين الضبط وعدمه .

٥ ـ أحيانا لايستوعب مايعرض له بالشرح والتوضيح وقد يتركه الى شيء آخر ، وهو لايزال في حاجه الى مزيد من التوضيح ومن ذلك قوله في مادة « يأيأ » « اليؤيؤ » طائر يشبه الباشق من الجوارح والجمع اليآئي وجاء في الشعر « اليآئي » .

وواضح من هذا النص أن التعريف بالطائر لم يكتمل وأنه مازال في حاجة الى فضل بيان ويبدو أن مراجعه لم تمده بأكثر من هذا .

٦ ـ إهماله لبعض المصادر التي لايستغني عنها مثل جمهرة ابن دريد وبارع القالي ومقاييس ابن فارس .

٧ ـ اضطرابه في ترتيب بعض الصيغ ، ذلك أنه لم يفد من منهج ابن سيده الذي عرض له في اضطرابه ؤ

٨ ـ أغفل بعض الصيغ والمعاني التي جاءت في مصادره الأصلية .

٩ ـ أحيانا ينقل نصوصه من غير تحقيق دقيق ومن ذلك مانقله عن ابن الأثير عندما شرع في

الحديث عن « مادة » « هجا » يقول : قال ابن الأثير : وفي الحديث : اللهم إن عمرو بن العاص هجاني ، وهو يعلم أني لست بشاعر فاهجه اللهم والعنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني قال : وهذا كقوله : من يرائي يرائي الله به أى يجازيه على مراءاته » .

وهذا النص في النفس منه شيء ، فلا يقبل هكذا دون تحقيق وتمحيص .

ولا تغض هذه المآخذ من قيمته العلمية لهذه الميزات التي امتاز بها :-

١ ـ فقد جمع فأوعى من الالفاظ ومعانيها فاقتربت مواده من ثمانين ألف مادة وهذا الرقم ـ ربما ـ لم يبلغه أى مؤلف سابق أو لاحق .

٢ ـ يعتبر اللسان موسوعة علمية كبيرة في اللغة والتفسير والحديث والأدب ، ذلك أنه لم يقصره على جمع المادة اللغوية والتعريف بها ومشتقاتها ، بل وسع دائرته فجاء شاملا لكثير من العلوم والمعارف الانسانية .

٣ ـ سهولة البحث في اللسان لاتباعه نظام الباب والفصل فأقبل عليه الباحثون على الرغم من ضخامته .

٤ ـ اهتمامه بالشواهد وإكثاره من قواعد النحو والصرف وهو في هذا يصدر عن ابن برى وابن سيده .

٥ ـ التتبع والاستقصاء للصيغ والمعاني ، وسر ذلك رجوعه الى أمهات كتب اللغة .

٦ ـ أفاض في الشرح وتوسع في النص على الرواة وعلماء اللغة والنحو .

٧ ـ إذا كان هناك معني معين تؤديه تصريفات المادة اللغوية ومشتقاتها عرض له أولا حتى يستوفيه ثم يعرض لغيره من المعاني مستوعبا لها ، وفي ذلك خدمة كبيرة للباحث إذ يأخذ ماهو في حاجة إليه دون مضيعة للوقت في قراءة كل ما جاء في المادة .

٨ ـ ظهور شخصيته ممثلة في زياداته المفيدة النافعة وارائه المستقلة الناضجة .

ومن ذلك أن تبعيته لمدرسة الجوهري المعجمية ليست تبعية مطلقة فقد رأى غير رأى صاحب الصحاح حين قدم فصل الهاء على فصل الواو ، وقد فعل الجوهرى العكس ورأى غير رأيه أيضا عندما وضع مادة «ورء » في باب الهمزة على حين أنها وردت في الصحاح في باب الواو والياء .

ولكل وجة هو موليها ، فابن منظور نظر الى أصالة الهمزة كما يقول سيبويه ، والجوهرى نظر الى انها مبدلة من ياء كما يقول الكوفيون . وخالف ابن الأثير في نهايته على الرغم من أنه أحد مصادره الأساسية ، فحين رتب صاحب النهاية المواد باعتبار أصولها وزوائدها جميعا نجد ابن منظور قد رتبها بحسب الأصول فقط .

٩ - الانتظام الداخلي للمادة اللغوية حين يقدم المجرد على المزيد والمفرد على الجمع ، وهو في هذا يصدر عن ابن سيده في كتابه المحكم .

خصائص مدرسة الجوهري المعجمية

١ ـ النظر إلى الحرف الأخير من الكلمة وجعله بابا فجاءت معاجم هذه المدرسة مقسمة الى أبواب باعتبار الحرف الأخير في مادته الأصلية .

٢ ـ النظر الى الحرف الأول ويكون فصلا متفرعا عن بابه وهو الحرف الأخير ، ورتبت مواده الثلاثية باعتبار الحرف الثاني ، فان كانت رباعية أو خماسية فباعتبار الحرف الثالث ثم الرابع .

٣ ـ إدماج ما آخره واو أو ياء في باب واحد .

٤ ـ غالبا ما تقدم معاجم تلك المدرسة فصل الواو على فصل الهاء ما عدا ابن منظور فقد قدم فصل الهاء على فصل الواو .

أساس البلاغـة

ينبغي قبل أن نتناول هذا المعجم أن نقول إنه رأس معاجم الطور الرابع الذى تكلمنا عنه انفا ، وتمثله مدرسة الابجدية العادية التي يعد أساس البلاغة أساسها وإليه ينسب الفضل في ظهورها .

وقد هيأ لها الخروج الى حيز الوجود أن طريقة الصحاح ومن سار على دربه قد لاتمكن الباحث من الوصول إلى ما يريد البحث عنه حين يخلط بين الباب والفصل في تنقله بين اخر المادة وأولها ، وقد كان هذا حافزا لأن يفكر العلماء في طريقة أخرى يصل بها الباحث الى ما يقصده في سهولة ويسر ،فظهرت مدرسة الأبجدية العادية بظهور أساس البلاغة مرتبة مفردات اللغة باعتبار الحرف الأول ثم الثاني و ما يليهما في مادته الأصلية . .

ونظرا لسهولتها وأنها تمثل الطـور الرابـع والأخـير في تأليف المعاجم العـربية وملاءمتهـا للمتخصص وغيره . وأنها الطريق الذى يسلكه الآن كل راغب في تأليف المعاجم أطلق عليها اسم « المدرسة الحديثة »

والآن نعرض لأساس البلاغة بالدراسة فتقول وبالله التوفيق : ـ

مؤلفه :

جار الله أبو القاسم الزمخشري ولد سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، وقد اشتهر بسيرته الطيبة وورعه وتقواه فهو القائل : احرص وفيك بقية على أن تكون لك نفس نقية فلن يسعد إلا التقي وكل من عداه فهو شقي .

ولقد كان رحمه الله مضرب الأمثال في علوم اللغة وآدابها وتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكان من بين مؤلفاته هذا المعجم الذي نحن بصدد دراسته .

الغاية من تأليفه :ـ

كان الزمخشري ـ رحمه الله ـ يتغيا من تأليفه التعرف على أسس البلاغة فيما ورد عن العرب لينطلق من هذه الركيزة الى بيان وجوه الاعجاز في القرآن الكريم (١) فولى وجهه شطر الاساليب المنتقاة والعبارات المصطفاة ورغب إلى « تأسيس قوانين فصل الخطاب ، والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح (٢) وهو بذلك يصل إلى ثلاث غايات من طريق واحد : ـ

١ ـ غاية دينية وتتمثل في أن معرفة وجوه الاعجاز في القرآن الكريم تسلح باليقين والاحتجاج المفحم الصائب .

٢ ـ غاية علمية نظرية حين يمتدح بأنه « من علم البيان حظي وفهمه فيه جاحظي » (٣)

٣ ـ غاية علمية عملية ، حين يتربى على مائدته أجيال من فحول البلغاء والأدباء .

وواضح من هذا أنه معجم بلاغي يعني بالتراكيب والاساليب البليغة ، فيأتي بالالفاظ في أساليب عربية فصيحة ، على حين يعني المعجم اللغوى بالكلمات المفردة غير المركبة ، وهذا هو الفرق بين المعجم اللغوي والمعجم البلاغي ، ويفرق بينهما أيضا من حيث إن الأول مصادره كتب اللغة والثاني مصادره كتب الأدب والبلاغة وهو ماأفصح عنه عنوان الكتاب « أساس البلاغة » وزاده إفصاحا قوله : (٤) « فليت له العربية ، ومافصح من لغاتها وملح من بلاغتها وماسمع من الاعراب في بواديها ومن خطباء الحلل في نواديها ، ومن قراضة نجد في أكلائها ومراتعها ، ومن

---

(١) الأساس ص ٧

(٢) الأساس ص ٨

(٣) الأساس ص ٧

(٤) الأساس ص ٧

سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها ، وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة ، وماتزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة ، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنة وجوامع كلم في أحشائها مجتنة » .

قيمة الأساس العلمية :

ينفرد أساس البلاغة بأنه لانظير له فيما سبقه من معاجم اللغة أو أتى بعده وسيظل ينبض بالحياة ما بقيت الحياة فهو من أنفع المؤلفات وأحسنها في مجال التأليف المعجمي ذلك أنه الوحيد الذي يأتي بالألفاظ في تراكيب وأساليب بلاغية ثم يشرحها من خلالها مفصلا القول في استعمالاتها الحقيقية والمجازية .

وفيه يقول جرجي زيدان إنه « معجم في اللغة العربية لا مثيل له في طريقته لأنه يبحث على الخصوص ، في استعمال الألفاظ ومواضعها من الجمل بقطع النظر عن معانيها المستقلة أو اشتقاقها ، فاذا أراد شرح مادة أتاك بجملة فيها تلك المادة في موضعها من الاستعمال ، وهو جزيل الفائدة » .

ويقول الأستاذ الزيات إن فيه « من الكشف عن خصائص اللغة والفحص عن أسرار العربية ما لاغنية عنه لكاتب ولاغاية بعده لطالب» .

ويقول عنه الأستاذ أمين الخولي : « تنتصر الحياة اليوم أو غدا فتوجد معاجم تتابع تطور اللغة وتساير تدرجها ...ويبقي الأصلح فيتداول الناس المعاجم الجديدة الحيوية ...ويوم يكون ذلك ـ وهو لابد كائن ـ تمسى المعاجم القديمة مراحل تاريخية ومراحل أثرية ، في سير الحياة اللغوية العربية ... لكن حين يكون ذلك شأن عامة المعاجم كاللسان والقاموس والصحاح وما إليها ، يكون ممن بينها معجم يستطيع أن يحيا حياة غير أثرية ، ويقوم غير تلك القيمة التاريخية ، وذلك هو اساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ رحمه الله » .

منهجــــه :

١ - رتب الزمخشري معجمه حسب الأبجدية العادية وصرح بذلك فقال : (١) « وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولا وأسهله متناولا يهجم فيه الطالب على طلبته : موضوعه على طرف الثمام ، وحبل الذراع من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلى الايجاف والايضاع ، وإلى النظر فيما لا يوصل إلا باعمال الفكر إليه ، وفيما دقق فيه الخليل وسيبويه » .

---

(١) الأساس ص ٨.

٢ - رتب المفردات بحسب أصولها ، وجاء بالحروف الأصلية للمادة اللغوية مفرقة ، ثم يذكر ما تصرف منها في غير استقصاء لأن جهده موجه أساسا إلى إيراد التراكيب الأساسية .

٣ - جعل المعجم أبوابا بحسب الحرف الأول في مادته الأصلية وسمي كل باب كتابا ، وجاءت المواد في كل كتاب مرتبة حسب الحرف الثاني فالثالث إن كانت مادته ثلاثية وإن كانت رباعية أو خماسية نظر إلى الحرف الرابع فالخامس .

٤ - صنف المعاني إلى صنفين : أولها للمعاني الحقيقية وثانيها للمعاني المجازية مع الفصل بينهما فقد عني بـ « تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح » (١) وعنايته بالمجاز ترجع إلى شيوع دراسته وكثرة الحديث عنه في زمن الزمخشري لجدته وطرافته ويدعم ذلك قول ابن تيمية : « تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة ، وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجود في المائة الثانية إلا أن يكون في أواخرها »

٥ - إيراده للتراكيب والأساليب للتعرف من خلالها على دلالات الألفاظ وايحاءاتها وهو في هذا يقصد إلى استعمال الكلام------------البليغ والتعبير الجيد الذي يتعلق بالمادة أيا كان مصدره سواء في عهد الفصاحة أم العهود التي تلته . ولقد خالف في ذلك بقية المعاجم الأخرى والتي عنيت بالألفاظ في حال بساطتها .

٦ - فيما يتعلق بوضع مشتقات المادة لم يتخذ منهجا محددا ، فأحيانا يورد بعض الأسماء قبل أن يستوعب صيغ الفعل كما حدث في مادة « عرب » .

وأحيانا يبدأ بالاسم كما حدث في مادة « صر » .

٧ - أحيانا لايشرح اللفظة بل يعرض لاستعمالاتها المختلفة في أساليب من الشعر والنثر العربي الفصيح ويعهد إلى القارىء استنباط المعنى مما يدل عليه السياق .

الزمخشري ودعوى الاقتباس :

يقال إن محمد بن تميم البرمكي المتوفي سنة ٣٩٧ هـ في كتابه : « المنتهى في اللغة » قد سبق الزمخشري إلى ترتيب مفردات اللغة حسب الأبجدية العادية مبتدئا بأسبقها في ترتيبه الهجائي المعروف . وهذا القول غير صحيح لأن كتاب البرمكي مرتب حسب الباب والفصل بمعنى أن الحرف الأخير باب وماقبله فصل ، ومن ذلك أنه افتتح حرف التاء بهذه المواد : ذات - شبت - عبت - لبت - هبت - . وهكذا ، وينتهي بنا القول إلى أن الزمخشري لم يأخذ عن البرمكي لاختلاف منهج كل منهما في الترتيب .

---

(١) الأساس ص ٨ .

وأعتقد أنه قد يقبل أن نقول في هذا المقام إن فكرة الترتيب الأبجدي العادي ، قد سبق إليها ابن دريد في معجمه الجمهرة ، حيث كانت ركيزة أساسية من الركائز التى بنى عليها معجمه .

ويبدو أن الزمخشري تأثر بابن دريد فأخذ منه هذه الفكرة ، وانطلق منها لاستكمال منهجه في أساس البلاغة

الأساس في ميزان النقد

عدت عليه بعض المآخذ ومنها :ـ

١ ـ أنه يورد الصيغ في تراكيب تامة من غير إشارة إلى ما تؤديه هذه الصيغ من معان زائدة على المعنى الأصلي في مادتها اللغوية ، وكذلك لم يعرض لبيان حالتها من حيث الاشتقاق والتعدي واللزوم والتجرد والزيادة تاركا كل ذلك للاستنباط من خلال التراكيب والاساليب التي يأتي بها ، وهو أمر لايشفع له في عدم التنبيه على مثل هذه الأمور التي تهم الباحث في المعجم .

٢ ـ عدم ضبطه للمفردات ، وكان ينبغي عليه أن يفيد في معجمه ممن سبقه فقد جاءت معاجمهم مشتملة على الضبط حتى لا يلتبس الأمر على الباحث .

٣ ـ خالف منهج الأبجدية العادية حين وضع كلمة(ط ح ط ح) قبل كلمة (ط ح ر) و (ز ح ز ح) قبل (ز ح ر)و (ف أ س) قبل (ف أ ف أ) والأصل العكس .

٤ ـ أتى ببعض العبارات وتركها من غير شرح يوضح معناها ومن ذلك قوله في مـــادة (ع ق ق) « ذق عقق مثلك في وادي العقوق أعز من الأبلق العقوق » .

٥ ـ تركه للكلمات الغريبة الواردة في عباراته وشواهده من غير شرح يوضحها ويزيل عنها إبهامها ، فغمض المعنى في بعض المواد .

٦ ـ عدم تحديده المصطلحات وخلطه بينها فأحيانا يقول : « ومن المجاز » وأخرى يقول : « ومن الكناية » ومرة ثالثة يقول : « ومن المستعار » .

وهو في كل هذا يقصد معنى المجاز ، وعذره في ذلك أنه لم يعرض للبلاغة في أساسه بمعناها الاصطلاحي المعروف ، إذ كان شغله الشاغل عرض الأساليب والعبارات والتعرف على مافيها من دلالات وإيحاءات مجازية .

٧ ـ مخالفته لمنهج الترتيب الألف البائي المعروف ، وذلك حين أتى بمضعف الثنائى المؤلف من الهمزة مع الياء « أى » في أول الفصل ، وليس هذا مكانه ، ووضعه الطبيعي التأخير حتي يطابق منهجه في الترتيب .

٨ - عدم التزامه بالمنهج الذي ارتضاه لمعجمه حين أدخل بعض الأساليب المجازية في الحقيقة ، ومن ذلك قوله في مادة « بطن » « ونثرت المرأة للزوج بطنها : إذا أكثرت الولد » .

وأحيانا يفعل العكس فيدخل الحقيقي فيما هو مجازي ومنه قوله في مادة « أكل » « ومن المجاز فلان أكل غنمي وشربها ، وأكل مالي وشربه : إذا أطعمه الناس » .

٩ - إهماله نسبة الأساليب الى قائليها ، ولو لم يفعل ذلك لأمكن التعرف على التطور التاريخي للحقيقة والمجاز .

١٠ - تعوزه الدقة أحيانا عندما يعرض للفرق بين المعنى الحقيقي والمجازي .

١١ - أحيانا لا يسعف الباحث بالدلالة المعجمية المحددة للألفاظ ويحيله إلى التركيب ليعطيه المعني ، ولكن التركيب قد لا يفصح عن المعنى المراد بوضوح ففي مادة « ألت » يأتي بقول الله عز وجل : « وماألتناهم من عملهم » ( ) ثم يقول : « وتقول : ما في مزادهم ألت ، ولا في مزايدهم أمت » . وفي مثل هذا لا يحصل طالب المعنى المحدد على طلبته .

١٢ - أخذ عليه « أنه ثبت المعاني الحقيقية والأخرى المجازية مع أن المجاز والحقيقة في حركة دائبة ويتبادلان مراكزهما » . جاء في كتاب «دلالة الألفاظ » للدكتور ابراهيم أنيس - رحمه الله - : أن المجاز والحقيقة يخضعان لسنة التطور فيتغيران تبعا لتغير العصور والأماكن ، ولذا لا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ ، إلا إذا اقتصر على بيئة معينة ، وجيل خاص ، فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة ، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار ، وتبقي الالفاظ أذا قدر لها البقاء تنتقل من مجال إلى آخر جيلا بعد جيل وذلك هو التطور الدلالي . تلك هي الظاهرة التى جهلها أو تجاهلها الزمخشري حين عرض للحقيقة والمجاز في معجمه « أساس البلاغة » . ـــــــــــ ففي رأيه أن الكتابة والقراءة من المجاز . هو إذن يفترض أن العرب قد عرفوا من الكتابة خرز السقاء قبل أن يعرفوها بمدلولها الشائع الآن .

وتلك قضية ليس من اليسير الرهنة عليها ، حتى مع علمنا بشيوع الأمية لدى العرب القدماء ، ومع هذا فاذا سلمنا جدلا بصحة تلك الأصالة والفرعية في دلالة «الكتابة » فمن الواجب ألا يفوتنا أن الدلالة الحقيقية ، قد تتعدد أي أن اللفظ ينحرف من مجاله الحقيقي إلى مجال مجازي ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفا ، ويعد حينئذ من الحقيقة » . وأما القول بأن الزمخشري « جعل الدلالة الحقيقية للفعل « كتب » هي في مثل : كتب السقاء أي خرزه بسير ين أي معنى الضم والجمع ، أما الكتابة المألوفة فدلالتها مجازية » فغير مسلم ، لأن المادة وردت في الاساس على العكس من ذلك تماما فقد جاء فيه بخصوص هذه المادة : « كتب الكتاب ، يكتبه كتبة وكتابا ،

(١) الآية ٢١ من سورة الطور .

وكتبته كتبا واكتتبه لنفسه انتسخه . . وفلان مكتب ومكتب يكتب الناس ، يعلمهم الكتابة أو عنده كتب يكتبها بنسخهم . . المجاز : كتب عليه كذا : قضى عليه .. وكتب النعل والقربة خرزها بسيرين » .

١٣ - جعل مادة « أبه » أسبق في الترتيب من مادة «أبو » وفي هذا خروج على الترتيب الهجائي المعروف ، والذى سار عليه .

وبعـد :

فان هذه المآخذ التي عددناها عليه لا تغض من قيمته العلمية فهو من المعاجم المشهـورة المتداولة بكثرة في حاضرنا الذى نعيشه .

وقد تحلى أساس البلاغة بهذه الميزات :

١ - النظام الدقيق والتنسيق الجميل والجمع بين متن اللغة وأدبها .

٢ - يحمد له أنه أبرز دور الاستعمال في تعيين معني الكلمة وتحديده ، وصنيعه هذا دعوة لدراسة التطور التاريخى لدلالة المفردات العربية وهو أمر له قيمته في مجال الدرس الأدبي والفقهي للغة .

٣ - يقول الأستاذ أمين الخولى : إن «الزمخشرى بأساسه [قدم] إلي أصحاب فن القول (شيئا كثيرا) عن ايحاء الكلمة ووقعها على نفس سامعها ، فان أصحاب هذه العناية الفنية يقررون أن الدلالة المعجمية المجردة التى يقدمها المعجم عادة حين يسرد المعاني سردا غير لافت إلى شىء من التراكيب الحسنة .

هذه الدلالة المعجمية المجردة ليست هى كل دلالة الكلمة ، بل ليست الدلالة الأدبية التى تحمل عنصر التأثير النفسي وماهلا من وقع علي سامعها .

فأبو القاسم حين لا يكتفي بسرد اللفظة وإلي جانبها معناها المجرد الذى ليس إلا الهيكل العظمي لدلالتها بل يقدمها في تركيب ، يهدى إلي مراشد حر المنطق . . إنما يهدينا إلي شيء غير قليل من مصادر إيحاء اللفظة وأثرها النفسي الذي هو معيار تقديرها الادبي ووسيلة تقويم النظم الفني . . وتلك وما إليها هي الميزة أو المزايا التى تجعل معجما كأساس البلاغة يحيا حياة غير أثرية يوم تنتصر الحياة ، ويخرج المعجم الجديد الصالح للبقاء ، الذي يجعل المعاجم العادية أثرية فحسب » .

٤ - عنايته بافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح . جعله ينفرد بين معاجم العربية بهذه الميزة ، فتأثر بها من أتى بعده .

وصفوة القول إن صاحب الأساس كان أول من وجه انظار مؤلفي المعجم الي دراسة أساليب البلغاء من الأدباء .

مجمع اللغة العربية و المعجم العربي

يعتبر « المعجم الكبير » و « الوسيط » ثمرة طيبة من ثمار جهود المجمع . وقد تغيا منهما الافادة من منهج التأليف المعجمي الذي يلائم روح العصر . بحيث يجد كل باحث طلبته مهما تنوعت ثقافته . وفيما يلي دراسة لكل منهما :

المعجم الكبير

الغاية من تأليفه :ـ

كان المجمع يهدف إلى تأليف معجم يعني بالتطور التاريخي للغة . ولما لم يتيسر له ذلك قصد إلى الترتيب ـ حسب المستطاع ـ للشواهد والنصوص اللغوية في معجمه الكبير . موجهـا بذلك الاذهان إلى ضرورة تضافر الجهود لانجاز هذا العمل اللغوي الضخم الذي لا يقدر عليه إلا أولو العزم من الرجال وهم ـ والحمد لله ـ كثير .

وقد رغب المجمع عند وضع هذا المعجم في تدوين الثروة اللفظية التي كانت بعد عصور الاحتجاج باللغة . و التي تحرج علماؤنا الأقدمون من تسجيلها . ذلك أنها تمثل قيمة لغوية لها وزنها في تاريخ اللغة العربية .

منهجه

١ ـ رتبت مواده حسب الهجائية العادية بالنظر إلى الأول والثاني في مادته الأصلية بعد تجريدها من زوائدها إن وجدت .

٢ ـ وضعت المادة المراد شرحها في أول السطر بين هلالين وبجانبها وضعت معانيها الكلية التي تدور المادة اللغوية حولها .

٣ ـ توخى المجمع عند جمعه لمفردات اللغة الاقتصار في ألفاظ المصطلحات على ما ذاع أمره واشتهر ، وإلى هذا يشير قول المجمع :(١) « لا ينبغي أن تنتظر أن تجد في هذا المعجم كل ما تحتاج إلى فهمه من الألفاظ . فليس هو معجما علميا ولن يأخذ من مصطلحات العلوم على اختلافها إلا ما يشيع بين المثقفين ويصبح جزءا من اللغة العامة لغة الكتابة والكلام ، وليس هو معجما للتاريخ ولا الجغرافيا . وإنما يسجل من الأعلام والأحداث وأسماء الأماكن ماليس من تسجيله بد لفهم النصوص الأدبية والتاريخية على اختلافها » .

٤ ـ ضبط المفردات حتى يتيسر الوقوف عليها .

٥ ـ إبراز الروابط التي تربط العربية بأخواتها الساميات .٦ ـ الاشارة إلى أصول الكلمات الأجنبية عند الحديث عن هذه الكلمات التي دخلت العربية .

المعجم الكبير في ميزان النقد

يؤخذ عليه أنه في باب « الألف » عرف بالهمزة في العربية وأطال في ذلك وأسهب بيد انه لم يتحدث عن هذه الألف في أخواتها الساميات بالقدر الذي يتناسب مع المساحة التي استغرقها الحديث عن الألف .

وقد امتاز بما يلي :ـ

١ ـ اهتمامه بالضبط حتى لايقع لبس فيما يراد ضبطه .

٢ ـ اقتصاره في المصطلحات على الشائع منها ، وفي الأعلام والأماكن على ما تدعو الضرورة إلى ذكره وشرحها بايجاز أو في شيء من التوسع كلما اقتضى المقام شيئا من ذلك .

٣ ـ اهتمامه بابراز العلاقات التي تصل العربية بأخواتها الساميات ، وهو أمر لايمكن إغفاله لأن العربية إحدى اللغات السامية .

٤ ـ التنظيم الداخلي للمادة اللغوية .

٥ ـ التعريف بالحرف المعقود له الباب كما حدث في باب « الألف » فقد صادف هذا العمل محله .

٦ ـ عنايته بالشواهد و بالترتيب التاريخي لها كلما أمكن ذلك .

وقد استشعر المجمع في عمله هذا ضرورة تأليف المعجم اللغوي التاريخي للعربية .

---

(١) مقدمة المعجم الكبير .

المعجم الوسيط

الغاية من تأليفه :

أخرج المجمع معجمه هذا محققا للغرض من تأليفه فقد جاء « محكم الترتيب واضح الأسلوب سهل التناول مشتملا على صور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير وعلى مصطلحات العلوم والفنون .» (١)

منهجه

١ ـ رتب على الهجائية العادية حسب الحرف الأول والثاني من حروف المادة الأصلية .
٢ ـ أرجع المقلوب والمحذوف إلى أصله .
٣ ـ توسع في تدوين الألفاظ عندما لم يقف بها عند عصور الاحتجاج باللغة ، كما فعل الأقدمون وفي ذلك تنمية للثروة اللفظية لابد منها فهذه الألفاظ نتاج حضارة متطورة وثقافة متنوعة .
٤ ـ توضيح المادة المراد شرحها رسما وصورة .
٥ - جعل المادة اللغوية في أول السطر بين هلالين يسبقهما نجم ، ومشتقاتها في أول السطر تتوسط هلالين .

٦ ـ ضبط المفردات بالشكل المعروف .
٧ ـ قدم الأفعال على الأسماء والمجرد على المزيد واللازم على المتعدي والمعنى الحسي على العقلي والحقيقي على المجازي .

الوسيط في ميزان النقد :

اخذ عليه أنه أغفل الضبط بالعبارة أو التمثيل بلفظ مشهور ، مكتفيا بالضبط بالشكل المعروف وهو لا يصون اللغة و يحفظها من التصحيف .

ويمتاز هذا المعجم بما يلي :ـ
١ ـ شرحه للمفردات بعبارة سهلة مبسطة خالية من غريب الألفاظ ووحشيها ومستنكرها .
٢ ـ عرضه للأعلام في نطاق ضيق دعت إليه الضرورة .
٣ ـ استعانته بالرسوم والصور التوضيحية .
٤ ـ تكثير الألفاظ عندما خرج عن النطاق المألوف في جمع اللغة ، حتى تفي اللغة بحاجات العصر المتجددة .

---

(١) المعجم الوسيط ص ٧ .

٥ ـ إتيانه بالكلمات المراد تفسيرها في عبارات وتراكيب حتى يتضح المعنى ويقف القارىء على تنوعه وتغيره من عبارة إلى أخرى .

وهو في هذا يحذو حذو معجم أساس البلاغة فهو أول من عني بهذه الناحية .

٦ ـ الترتيب المحكم الدقيق وذلك حين يقدم الأفعال على الأسماء و المجردعلى المزيدإلى آخر ما أشرنا إليه آنفا .

٧ ـ اشتماله على الألفاظ المولدة والمعربة والدخيلة التي نحتاج إلى استعمالها وأقرها المجمع وارتضاها(١).

٨ ـ إهماله الكثير من الألفاظ الوحشية والمهجورة لأن تدوينها لا تدعو إليه حاجة ماسة ، و الفائدة من ذكرها جد قليلة .

وختامه « أن الحمد لله رب العالمين »

(١) المعجم الوسيط ص ٧